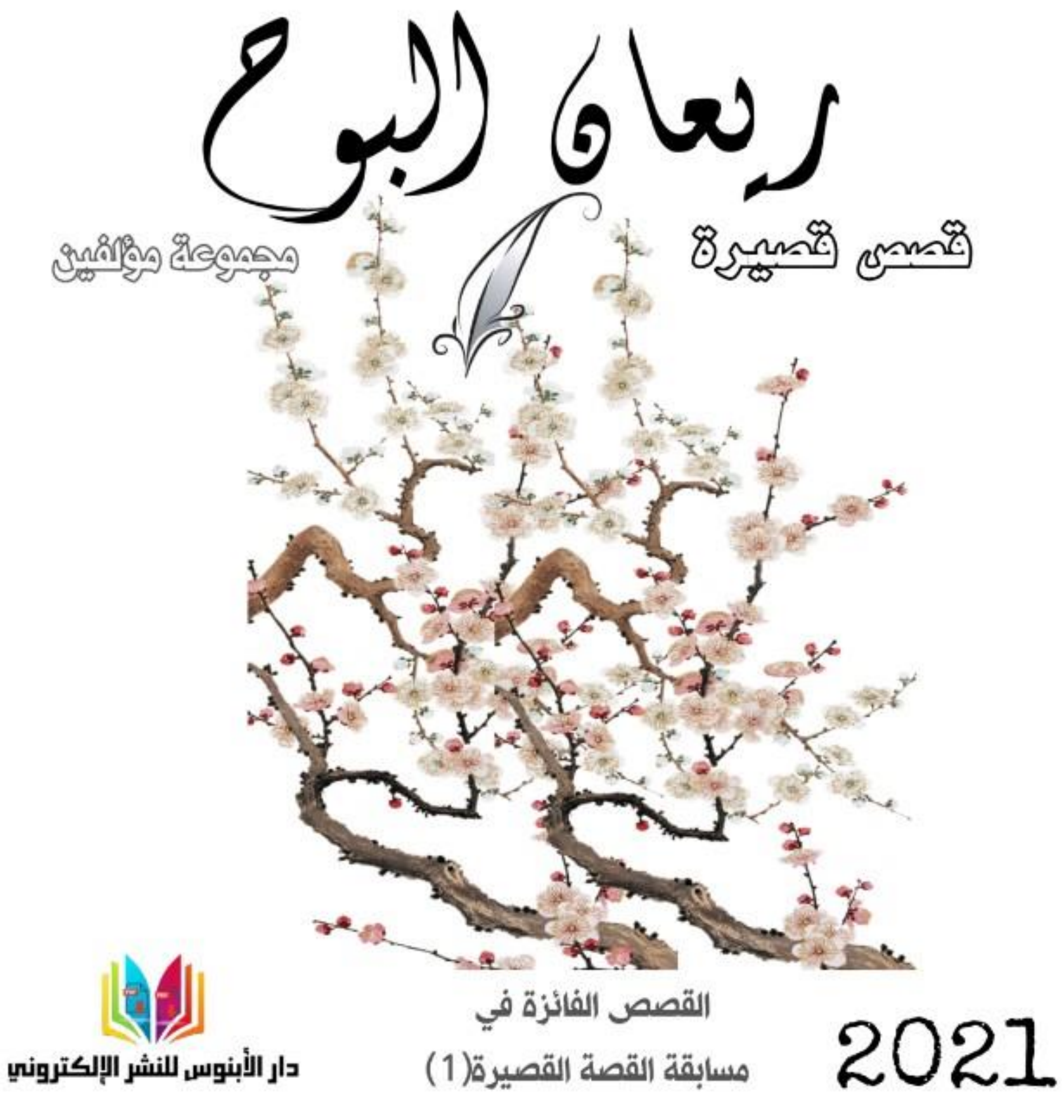

حقوق الملكية محفوظة للكاتب ودار النشر بالتقويم الأدبي بتاريخ TA[2.2.6]

شكر وعرفان

من دار الأبنوس للنشر الإلكتروني إلى الدكتورة عائشة شريف محمود لمشاركتها الكريمة في مراجعة الكتاب.

الإهداء

إلى كل مَنْ بدأ مشواره الأدبي حالمًا بمسيرة براقة، إلى الأقلام الشابة والمخضرمة، إلى كل قارئ يقدر الحروف ويتذوق روعتها، إليكم ريعان البوح.

ريعان البوح

القصص الفائزة في مسابقة دار الأبنوس للقصة القصيرة(1)

1- الزائر-نصير العراقي_العراق

2-القبيلة توفيق بن جميل _ عربستان_إيران

3- موت أنيق لظله (امبرتو إيكو)_مهند يحي حسن_العراق

4- مصب البر منبعه _ كريم حموتي_المغرب

5- ضياع محمد لعروسي_ المغرب

6- هلوسات قبيل الغروب_محمد الصديق_الجزائر

7- الهروب نحو الموت_ منال النواصري_الجزائر

8- بين حناياه يفور سهد- حوراء عبدالله المرهون-السعودية.

9- عودة إلى الحياة _ابتهال المعرف_ المغرب

10- انتظار الذى لا يأتي-حاميد اليوسفي_المغرب.

الزائر

نصير العراقي

الإنارة خافتة، والهدوء يسودُ لايقاطعه سوى أصواتٍ مميزة خاصة(طوط، طوط)، تصدرُ من كتلةٍ غريبة فيها شاشة صغيرة ترسم خطوطًا متعرجة في إرتفاعٍ وإنخفاضٍ تشبه سلاسلُ الجبال، وصوتٌ آخر يزعجُ الهدوء صوت أنفاسٍ تحاول إثباتَ وجودها والدلالة على صمودها خلف قناع التزود بالأُكسجين، العينانِ شبه مُغمضتين، قطراتُ "السيروم" تتسابق نزولًا لتصل مجرى الدم، غيرُ مسموحٍ بالزيارات الخارجية.

الساعةُ الآن الواحدةُ بعدَ منتصفِ الليل، البابُ الأبيضُ المتسخُ أطرافهُ يتحركُ مقبضهُ بتؤدةٍ، ثم ينفتحُ بحركةٍ سريعةٍ، ظِلُّ القادم يسبقه مسرعًا، اتسعتْ عينا المسجى على السريرِ وفي نفسهِ خِيفةً من أن يكونَ القادمُ ذلك الممرضُ كالعادة، الممرضُ الذي طالما كرهتهُ النفس لفظاظتهِ وخشونتهِ في التعامل، وهو يغرز إبرةَ الحقنة في العروق المتهالكة بعنفٍ، كأنَّهُ يدخلُ قضيبًا من فولاذٍ حما على نارٍ حتى أحمّر.

بانتِ الرؤية وظهرَ الجسدُ إنّه هو بدمه وكرشه، دقائق من المصارعة الحرة مع الأوردة والحقن، ثُم انتهت المهمة وخرج الداخل قبل قليلٍ فاتحًا صدره مبتسمًا لإنهائه تقديم الدواء للمريض الأخير في الرّدهة، أما الجانب الآخر فقد أحسَّ هذه المرة دون سابقتها بالكثيرِ من الألم، انصرفَ الوحشُ مزهوًا بإنتصاره تاركًا خلفه من لا يستطيعُ التعبير

عن ألآمهِ متألمًا بعمقٍ، دقائقٌ قصارٌ مرتْ والمحاولاتُ من النفسِ في تخفيفِ ألآمها والجسد متواصلة.

عادَ مقبضُ البابِ يتحركُ معلنًّا عن قربِ فتحِ البابِ، اتسعت العينان وزاد خفقانُ القلبِ وجهازُ رسم جبالُ الأمل يفضحُ كلَّ تحركاتِ النابض بإضطراب.

فُتح البابَ بهدوءٍ دونَ أن يصدرَ أيَّ صوتٍ من أصواتهِ المعتادةِ، ومع فتحهِ هبتْ نسماتُ هواءٍ لطيفٍ دخل الغرفة؛ كانَ أنقى من أُكسجين الأسطوانة الكبيرة باهظة الثمن، والعجيبُ فيهِ أنَّهُ تمكّنَ من اختراقِ قناعَ التنفسِ، ومداعبةِ الرئةِ المتعبةِ، لم يكن هناك ظِلّ يسابقُ صاحبهُ، ولم يسمعْ طرق نعلٍ.

رجلٌ في اواسطِ العقد الخامس من العمر، أبيضُ الثياب، أسود الشعر، طويلُ اللحيةِ، جميلُ الوجهِ، باسمُ الثّغر، ممشوقُ القامةِ، بهي الطلعةِ، جسيمٌ قسيمٌ.

دخلَ بهدوءٍ، ومعَ دخولهِ انتشرتْ رائحةُ العنبرِ، وأضاءَ المكان بنورٍ غريب لا يبعثُ في النفسِ إلّا البهجة، ولا يؤذي العين أو يزعجها.

اتسعتْ حدقةُ العينِ أكثر فأكثر، لكنَّ الأنفاسَ لمْ تضطربْ، ولمْ ترتفعْ الجبال أو تنخفض، كلُّ شيءٍ مستقر، الزائرُ يتقدم بخطى هادئة، والباب يغلقُ دونَ أيّ تدخل من أحدٍ، على الكرسي القريب من السريرِ، العينُ بالعينِ، والشفاه لا تتحرك: السلام عليكم ورحمة الله يا عبد الله، كيفَ حالُكَ؟

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، يا زائر كما نرى، مجردُ أنفاس تخرج وتدخل، وقلبٌ مضطربُ النبضات لا يؤمن متى يتوقّف.

- أوَ تخافُ توقّفهُ؟

- كيفَ لا وهو من يحركُ الدّماء ويبثُ الأمل!

- أو تحبُّ الحياة؟

- مَنْ لا يحبّها؛ وجدتَ مَنْ يكرهها؟ إنَّها لا يملُّ منها، مثلها كمثلِ الفتاة العشرينية لا تملُّ ولا تَشبعُ النفسُ منها.

- أنتَ مَنْ يقول هذا وقد قاربتَ على الثمانينَ مِنْ عمركَ، وخضّتَ في هذهِ الحياة كثيرًا من التجارب رأيتَ كم لا يحصى من الأحزانِ والآلام وصبرتَ على فراقِ الأحبةِ وفجعتَ بالوالد والمولود؟

هي الدنيا لا مفرَّ من حبِّها ولا مجال لكرهها، بل هي الحياة مثلها كمثلِ ماءِ البحرِ المالحِ، مهما شربتَ منهُ لا ترتوي وكالفضاءِ الواسع لن تدركَ آخره ببصركَ مهما حاولتَ، طالبها لاهثًا وراء سراب وتاركها يعيشُ في عذاب، الفائز الوحيد مَنْ عَرَفَ حقيقتها، لكنّها جميلةٌ مثلُ صبية ممشوقة القدِّ تجري في الحقولِ الخضراء والهواء يداعبُ ضفيرتها الذهبية.

صمتًا لثانية انطلقَ بعدها المسجى على السرير بسؤالٍ لزائرهِ المجهول: مَنْ أنتَ؟ ومن أينَ أتيتَ؟ وكيفَ يمكنكَ سماعي، وإياكَ يمكنني أسمعُ دونَ تحريكنا للشفاه؟ ابتسامةٌ بسيطةٌ

ثم، أنا الزائر الذي لا ينتظره أحد ولا يريد رؤيتهُ أحد أنا من تشمئز النفوسُ عندَ سماعِ اسمه وترتجفُ القلوب وتكتمُ الأنفاس.

-أراكَ تبالغ، فوصفكَ هذا ينطبقُ على ملكِ الموتِ

- مَنْ؟!

- ألا تعرفه معقول! هو مَنْ تكره النفوس ذِكره وترتجفُ القلوب لسماعِ اسمه رغمَ ادّعائها بأنّها لا تأبهُ له وللقائهِ مستعدة.

- تريدُ معرفةَ اسمي؟

- إنْ كانَ لا يضايقكَ فمن الطّبيعي أن يعرفَ المُزار زائرهُ

- بَجدٍ هذا حقكَ وسأخبركَ، أنا ملكُ الموتِ جئت إليكَ، إزداد الوجه صفرةً وتخبطت العينان هربًا، وارتجفت الشفتان ثم ضاعَ الكلام بعدَ عدةِ أنفاسٍ عميقة.

- ما هذا النوع منَ المزاح الثقيل، ألا ترى حالي؟ أهكذا هي الأصول في زيارةِ المريض؟ ثم إنَّ شكل ملكِ الموتِ ليس كشكلك ولا رسمه كرسمك ولا صوته كصوتك ولا ريحه كريحك ولا كلّه ككلكَ فلمَ الادّعاء بما ليسَ لكَ؟!

كلمات هادئة باردة:

- أسبقَ لكَ أن رأيتَ ملكَ الموتِ؟ أو سبق ذلك لغيركَ؟ أو حتى الحديثَ معهُ

- لا طبعًا، ومن رءاه ونجى بعدَ رؤياهُ

- إذن كيفَ عرفتَ أني لستُ هو؟

- ما قالوه لنا الذين من قبلنا يثبتُ لي أنّكَ لستَ هو، لكن تأكيدكَ والصدق الذي قرأته في عينيكَ أربكني، وأرعبني

- ليسَ كلُّ ما يصلكَ حقيقة، وليسَ كلُّ ما لا ندركه بألآتِ الإدراكِ لدينا ننكره، فعدمُ العلمِ ليسَ علمًا بالعدم.

ارتجفت الأطراف وارتفعتْ الجبال عاليًا حتى كادتْ قِممها تكسر أعلى الشاشة، وتهرب العينانِ تحاولان التّهرّبَ من عينيّ الزّائر الغير مرحب به الآن، لكنّها تجدانه حيثُ هربتا.

- لِمَ الخوف؟ لِمَ الاضطراب؟ لا تخفْ الأمر لنْ يستغرق الكثير من الوقت ولا المزيدُ من الألم وستحسُّ براحةٍ لمْ تحسّها مِنْ قبلِ فقد آنَ الوقت لترتاحَ مِنْ الحِمل الذي طالَ ما أثقلَ كاهلكَ، وأوجع أيّامكَ وحرقَ قلبكَ لا تخفْ أنتَ راحلٌ إلى الذي لا يضامُ عندهُ أحدٌ ولا يضيعُ لديهِ حقٌّ.

- تريّث قليلًا أرجوكَ، وإنْ كنتَ لا بدَّ فاعلٌ ذلك أتركني بعضُ الوقت

- ما الذي ستفعلهُ إنْ حصلتَ على دقائقٍ أو حتى ساعاتٍ أو أيّامٍ؟

- ها ها لا أعرفُ، لكني لاأريدُ فراقها الآن لستُ مستعدًا بعد بل لمْ أرَ منها شيئًا.

- لن تشبعَ منها حتى لو خُلّدتَ ألف ألف عام

- صدقني لم أعدَّ العدةَ بعد للرحيل، إتركني فيها عساي أستدركُ ما فاتني وأصلحُ حالي وأعدّلُ من أموري

- أينَ كنتَ كلَّ تلكَ العقود الفائتة؟ لِمَ لمْ تفعلْ ما تريدُ فعلهُ الآن؟ قضي الأمر الذي فيهِ تجادل وحانَ وقتُ الرحيل، اطمئن أنتَ راحلٌ إلى أرحمِ الراحمينَ الذي لا يُضامُ عندهُ أحدًا ولا يُظلم.

دقيقةٌ وبضعُ ثوانٍ، تحولت الجبالِ المتسابقة إلى خطٍ مستقيم وصرخَ الجهازُ دونَ توقّفٍ (طوووووو...).

الجسد انخفضت حرارتهُ والعينُ تتبعت الراحةِ مِنْ الصّدرِ دونَ أنْ ترمش.

القبيلة

توفيق بن جميل

كانت السماءُ ملبدةٌ بالغيومِ السوداءَ والرّمادية كإمبراطوريةِ تحولُ بين الارض، والسماء كانت تمطرُ بغزارةٍ وتصيحُ رعداً مابين الدّقائق، ذاكَ الرعدُ الذي يسقطُ كالسيفِ على الغيومِ علّه يفكُّ تشابكها ولكن بلا جدوى، الغيومُ مضغوطةٍ بشدّةٍ وتمطرُ بغضبٍ وكأنّها تريدُ إراقةِ كلَّ ماشربته على هذه الأرضِ، كان النّاسُ نيامًا في بيوتهم الصامتة والمُظلمة، لم يعكرْ صفو هذا الصمت إلّا نُباحَ كلابٍ مُشردة تنبحُ مِنْ البردِ والجوعِ إنّه حيٌّ شعبيٌّ في مدينةِ الأهوازِ، ذو بيوتٍ قديمةٍ وشوارعٍ غير مبلطةٍ تتبدّلُ مستنقعٍ بعدَ كلِّ مطرٍ شديد، مع صِغري المنطقة إلّا أنّها تعجُ بالسّكانِ، إنّ الشّوارعَ في حسرةِ امتلاك مصباحِ على عمودِ كهرباء، أو نظام صرفٍ صحيّ فعّال، والطّامةَ الكبرى هي أنّ ماءَ المطرِ يسبب فيضان مجارى الصّرف الصحيّ النتنة ويسوقُها نحو بعضِ البيوتِ مايجعلُ السّكانِ تملأُ الأواني مِنْ الماءِ لإفراغِه بالخارجِ.

هبتْ الرّياحُ شيئًا فشيء، وقامتْ ببعثرةِ قطراتِ المطرِ حيثما تشاء، زادت سرعةُ الرّياحِ كاللذي يريدُ التماهي بقدراتِه وصوتِه الصّادحِ، كان صوتُه تارةً كعواءِ ذئبٍ جائعِ أو قباعِ خنزيرٍ بريّ في غاباتَ كرخه وكارون الشاسعة، وتارةً أخرى كماردٍ ملتمسٍ عاجزٍ مِنْ قصصِ الجّدات المعصبات

الأهوازيات، موسيقا الطبيعة كانت تعزفُ معزوفتها بعنفٍ صارخٍ.

جميلةُ وبعد أنْ رأتْ ابنتها إبتسام نائمة، غطّتها ببطانيةٍ حمراءَ عليها رسومٌ بشكلِ مربعاتٍ رمادية، بيتهم عبارة عن حجرتين مِنْ الطّابوقِ متصلاتٌ ببعضٍ والسقف مغطّى بالحصيرِ وسيقانِ

الخشبِ مِنْ هورِ الدّورق، هنالكَ صورٌ معلقةٌ على جدارِها الشرقيّ بتماثيلِ مِنْ الرّسولِ صلَ الله عليه وسلّم وعلى بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، و خزانةٍ صفراءَ للملابسِ تقبعُ تحت الصّور، عليها الفِراشُ والبطانيات، تفرشُ الأرضَ سجادةً مِنْ ستةٍ أمتارٍ، وقد تمَّ حشو الأماكنُ الخالية بقصاصاتٍ مِنْ سجادةٍ أخرى.

ذهبت جميلةُ لتجلسَ خلفَ ماكينةَ الخياطةِ التي أهدّتها لها أمُّها بمناسبةِ زواجِها وبدأتْ بخياطةِ ملابسِ النّاسِ، إمرأةٌ سمراء في عقدِها الثالثُ مِنْ العمرِ، بملابسِ سوداء وعيونٍ كبيرةٍ وشفاهٍ صغيرةٍ وأنفٍ ممشوقٍ ومهندمٌ تعلوه حواجبَ خنجريةٍ جميلة، لكن يعيبُ كلَّ هذا الجمالِ تجاعيدُ كتلكَ التي بوجوه العجائزِ، كانت معصبةٌ بعصابةٍ سوداء على جبهتها وما فوقَ عينِيها السوداء الجميلة المتعبة المنطفئة، كانت جميلةُ بعزاءِ زوجِها الذي فارقَ الحياةَ قبلَ عامٍ وهاهي الآن

تستذكرُ شجارَها معه، كانت تعملُ فسرحت بفكرِها وراحت تحدّقُ بنقطةٍ مجهولةٍ، قال وليد: " قلت لكِ مراراً ألّا تتدخلي في شؤوني، هل فهمتي؟ ها أنا أقولها للمرةِ الأخيرة، هولاءِ هم أهلي، أتريدين مِنيّ أنْ أتركهم؟ لا وكلا، يجبُ أنْ نُريّهم بأنّ قبيلَتنا أفضلُ، تأكدي إنّي سأفدي روحي للقبيلة إنْ لزمَ الأمرُ.

جميلةُ التي كانت واقفة أمامه وتحتضنُ ابنتها الصّغير إبتسام، بلعت ريقها بغصةٍ خفيّة وقالت:

"هلْ تعلمُ ما تقولُ؟ هل نسيتَ كلامكَ الشّهرُ الماضي؟ عن المنطقِ والمجتمعِ المدنيّ وكيف إنّنا يجبُ أنْ نتركُ العاداتَ الخاطئةَ والخرافاتَ التي آلمّت الكثير مِنْ النّاسِ، وأنْ العالم نحو التّطورِ المُستمرّ ولا يجبُ أنْ نتراجعَ أو يفوتنا المركبُ، كنتَ تقول عن أجدادِنا الذين بلغوا لمكتبِ الإسلام بكثيرٍ مِنْ الدّولِ وهو أعظمُ وأكملُ المكاتبِ ويجبُ علينا أنْ نحذو حذوهم وأنْ ندافعَ عنه، إنّنا يجبُ أنْ نتكاتف لبثِ الوعي والثقافة الغنية وأنْ نكفَّ عن التفاخرِ مابين القبائلِ وكيف أنّنا أخوانٍ ...."

قاطعها وليدٌ: "حسنًا ، إنّني أعلم ماقلته، يبدو أنْ الكلامَ معكِ يذهبُ هباءً، لقد أهانوا قبيلَتنا وهو ما يعني إهانتنا جميعًا، علينا أنْ نلقنهم درسًا لن ينسوه، وأنْ نُريهم كيف أنّنا قبيلةً عنيفة وكم نحنُ قادرون، لقد أرسلَ زايرُ غضبان بطلبي وأنا لاأستطيعُ ردّه لأنّه زعيمُ القبيلةِ، لقد أرسل بطلبي كما طلب الكثيرين ومِنْ الأفضلِ ألّا تقفي هكذا بطريقي، دعيني وشأني..."

قالت جميلةُ:

"لكن الجهلَ لا يُردَّ بالجهلِ وإنْ كان الأمرُ كذلكَ فكيف سيعرفون خطأهم؟"

لم يعرْها إهتماماً، وضعَ خنجراً في جَيبِ سِترته، أزاحها مِنْ طريقه، خرجَ مسرعًا ولم يعدْ.

سقطت دموعَها بلا إختيارٍ كحباتِ اللؤلؤِ على خدودِها، مسحتها وأحسّت بالبردِ، نظرت لإبتسامِ النائمة أمامها وهي التي كانت تحتضنُ ساقيها كالقرفصاءِ، لأنّ نصفَ جسمها غير مغطّى، إنّها تمتلكُ وجهًا جميلًا تمامًا كأمّها، بإستثناءِ أنفها الكبير والعريض الذي ورثته عنْ جدّها، نهضت الأمُ وذهبت نحوها عدلت مِنْ وضعِها قبّلت جبهتَها وغطّتها بالبطانيةِ، إنتبهت للمدفأة يتصاعدُ الدخانُ منها وهو ما ينذرُ بقربِ نفاذ الوقودِ، فأخذتها للدّارِ المجاورة وملأتها مِنْ الإناءِ الذي بجانب البابِ، أرجعتها لوسطِ الدّارِ، ورجعتْ بدورِها خلفَ الماكينةِ وإستمر

الله أعلمُ إنْ لم تتعلمْ الخياطة في أيامِ مراهقتِها ماسيؤولُ وضعها الآن؟ كانت هذه حِرفتها منذ بدأت حياتَها مع زوجِها أيضًا لأنْ وليدَ إذْ حالَفه الحظّ أو بوساطة أحدهم فربما كان يعملُ لثلاثِ أشهرٍ بالكثيرِ بشركةِ مقاولاتٍ، وبعدها يسرحُ ويمرحُ كالعادةِ ويضطرُ للعملِ خارجَ إطارِ القانونِ لإشباعِ عائلتِه ويصيرُ كمَنْ يضعُ الخنجرُ على أعناقِ النّاسِ إلّا أنّه يفعلها بطريقةٍ أخرى! فهو يبيعُ المخدراتِ ويجعلُ النّاسَ مدمنين عاجزين، لكن جميلةَ كانت تضحي مِنْ أجلِّ كرامتها ولم تسمحْ له بذلكَ ولم تنتظرْ شيئًا مِنْ هذه الحياةِ.

وصل الليل لمنتصفه، كان ظِلُّ جميلةَ يبدو عملاقًا على الجدارِ الطّابوقي البارد خلفَها، وهذا بفضلِ نورُ الفانوسِ الذي كان أمامَها على الكرسي، لقد مضت ساعاتٍ متواصلة على عملِها حتى صارت تفتحُ عينيّها بشِقِ الأنفسِ، وضعت رأسَها على الماكينةِ واستغرقت في النومِ، نهضت بعد برهة كأنّها شاهدت كابوسًا، سمعت صوت وقعِ أقدامٍ بالفناءِ، فنهضت مسرعةً وذهبت للبابِ ممسكةً أنبوباً بطولِ نصف متر، فتحت البابِ بهدوءٍ ونظرت للخارجِ، إنّه زايرُ حسن أبو وليد الذي يمشي بهدوءٍ نحو الدّار، كما لو أنّه ليس بعجالةٍ مِنْ أمره، وقد ابتلَّ مِنْ رأسِه لقدميه.

تنفست الصّعداءُ جميلة مِنْ وصولِ زاير حسن وشعرتْ بأمانٍ لوجودِ رجلٍ في البيتِ، فتحت الباب على مصراعيه كي يدخلَ فاغتنمت قطرات المطرِ الفرصة وبلّلت جزءً مِنْ ملابسِها و بشرتِه، أغلقت البابِ بعدما دخل وذهبَ زايرُ حسن نحو المِدفئة وجلس بجانبها قالت: " تأخرتَ ياعم لقد ظننتُ أنكَ ستبقي لدى الشيخُ غضبان هذه الليلةَ و تأتي في الصباحِ، الآن عليك أنْ تنهضَ وتخلعَ ملابسكَ هذه قبل أنْ تمرضَ لقد غسلت الدشداشةُ وعلقتُها لتجفَّ إلى جانبِ بقية ملابسكَ"

رجعت جميلةُ لعملِها، فقد طارَ النومَ من عينيّها وزايرُ حسن الذي لم ينبسْ ببنتِ شفةٍ نهضَ بصعوبةٍ مِنْ مكانه وذهبَ للحجرةِ المجاورة التي كان بابُها عبارةً عن بطانيةٍ تفصلُها عن هذه الحجرةِ.

إنّه شيخٌ عريضُ الأكتافِ، سمينٌ لحدٍ ما وبطولٍ متوسطٍ، يرتدي دشداشة دورقية وكوفية مرقطة بالأبيضِ والأسودِ،

لون بشرتِه أسمرٌ حاد مع تجاعيدٍ في الوجِه ونظاراتٍ محدبة التي كانت إحدى زجاجتِها مكسورةٍ، لكنّها ثابتة تعلو وجهُه.

بعد برهةٍ سمعت صوتَ الشيخ المرتجف مِنْ تلكَ الحجرةِ وهو يرفعُ البطانيةَ كمَنْ أصابه الزّكامِ: "شيخُ غضبان يقول إنْ تلكَ القبيلة قتلت أحدُنا، وهو ابني وليد ونحنُ بدورِنا قتلَنا أحدَهم ايضًا ولكن تعتبرُ هذه الجريمة إهانةً لقبيلِتنا والتي سنحلّها عن طريقِ الفصلِ"

لم تتفوه جميلةُ بكلمةٍ، كانت تخيطُ الملابسَ لكنّها رمقت أعينَ الشيخِ بنظرةٍ ثابتة كلَّها معانٍ، تلكَ الأعينِ التي اطفأ نورَها الحقدُ.

رتبَ زايرُ حسن البطانية وذهب جانبًا، رعدت السماءُ مرةً أخرى وكأنّها تعلمُ بما يجري بهذه المنطقة مِنْ الأرضِ لكنَّ الغيومَ السوداء لم تسمحْ لها بالنظرِ، لقد أمضت جميلةُ ليلتَها بالبكاءِ على زوجِها، أشرقَ الصباحُ بسرعةٍ وكانت السماءُ لا تزالُ تمطرُ ألّا إنّه لم يكنْ بشدّةِ مطرُ ليلةِ أمسٍ.

جميلةُ وبعد أنْ جهزتِ الفطور، وضعت وعاءَ الطّعامِ على الطباخِ الأخضرِ الذي كان بجنبِ البابِ و راحت تنشغلُ بتقشيرِ البطاطا، سمعت صوتَ المذياعِ الذي ابتاعه وليد مِنْ سوقِ الخردوات في الأهوازِ يومًا، وهو يصدحُ موسيقي العلوانية التي إعِتاد زايرُ حسن الإستماعُ إليها، صوتُ الرّبابةِ الحزين وأنغامُ علي الرشداويّ، أراقَ الدّموعُ مِنْ عينيّها مِنْ جديدٍ لفت انتباهها بيتُ شعرٍ مَنْ الشّاعر الأهوازي الشّهير ملا فاضل السكراني:

يخل من شط فهم خل يتم شرباك

أبجهل ليكون ينبط عرج شرباك

أبجف عز هِز لِوّه وخل يرف شرباك

ابحومة شرف وبساحة حميّه

فجأةً إنّها سمعت صوتَ إبتسام القلق المضطرب بعد لحظاتٍ وهي التي كانت بجوار جدّها:" امي تعالي إلى هنا بسرعةٍ، جدّي لا يتنفس..."

موت أنيق لظله(امبرتو إيكو)

مهند يحيى حسن

دقاتُ رقاص الثّواني تهزُّ جوانحِه، والرغبة بإنهاء مهمّة واحدة تغنيه عن سخرية أصدقائه باتت تقض جوانحه، ياإلهي لم جعلتني أداة موت فاشلة ليس لها دور سوى في تسلية رعية حظيرتك القابضة لأرواح عبادك ؟!

اعتصرَ واجهة جناحه وتقدّم يبحثُ عن ضوءٍ كفيفٍ في نهاية نفقه المُرهق، قبل لحظات كان يتطلعُ لنزعِ جناحيه والإرتماء عند أوّل شجرةٍ قريبة على مقصلة رئيسه إلّا أنْ كابوس أمره بإقتلاعِ تلكَ الرّوحِ العنيدة ضايقه وجعله تائهًا في وشوشات حلميةَ تنتهي كعادتها بتوبيخه من قِبل رئيسه وسخرية رفقائه منه، رفع منجله بهدوءٍ وتقدّم ليحصدَ بعضَ الأشواكِ التي طالعت مخالبه المقوسة، ووو تت ! انتفضَ بشدةِ الزّبانية تتنزه في الليالي المُظلمة، هكذا قِيل له وهو في مرحلةِ التدريبِ، ذكرياتٌ بريئة تتواثب لتنقض على ما بقي في جسدِه المُتعب، كان يبكي عندما كان يحكى له عن مُصادفة ملائكة القبض لها عندما يفشلون في أداءِ مَهامِهم.

اللعنةُ على الأقدارِ وما تجرّه على أصحابِها من ويلاتٍ، ألم تجدْ غيري لتجعله ملكُ موتٍ فاشلٍ، لتصطادَ فرحتُه بمناجلِها المُقرصنة، وتحيّلُ موائدُ الفرحِ المؤجل لديّه إلى مِئدبةٍ للعزاء ؟!

قبل قليلٍ كان برفقة سرحيائيل، وأخبره أنْ قوائم لوحِهم المحفوظ قد أظهرت اسم مُوكِلِه الذي سيقومُ بقبضِ روحِه اليوم، وبأنْ هذه آخر فرصةٍ له ليثبتَ أنّه يستحقُ أنْ ينالَ شرف تواجده في حظيرةِ القبض الإلهية، يالحظك العاثر! يافشليائيل2، لم تفترشْ يومًا وسادةَ الفرحِ إلّا وداهمتها دموعَ كوابيسِ الفشلِ المُريعِ، قد تكونَ هذه لعنَة هذا المكان المتخمُ بآثامِ كلَّ الأرواحِ التي ساهم هذا الفيلقِ الإلهي في قبضِها وتحقيقُ توازنِ هذه العوالمِ القاحلة الوجودِ.

مووووت! لم يستطعْ أنْ يشيحَ بنظرِه عن قائمةِ الموتِ الجديدةِ، وبّخه رئيسه على تبذيرِه تلكَ الهُنيهاتِ عن تحقيقِ أمرُ الرّب العظيم

أنْ أمووووت! أكنتَ تظنُّ وأنتَ تتفاجأ برؤيةِ اسمكَ محفورًا، أنكَ قد تكون من صَفوة ملائكة الموت ومقربًا مِنْ كبيرِهم عزرائيل المَهيب ذاتِ يومٍ؟

يييييد أنْ أمووووت! اللعنةُ عليكَ يا أمبرتو إيكو، لأنكَ زرعتني في عنقِ الزّجاجة حتى انتعلت ما تبقى من حذاءِ الحكاية ورصفتني على قارعة طريقكَ المقيت، لو كان الأمر بإختياري لانتقيتُ فكرةِ قطف زهرتكَ وتجنيبي هذا التوغل الوخيم.

ريييييد أنْ أموت! بعض بقايا ماوشت به قصته عن قبض روح الجد2، كان عصيا على الفهم، ولعل مفردة انتهاء دوامه اليومي كان عصيًا على استيعابه، فالملائكة وكما هو معروف للجميع ليس لديهم وقت محدد فهم مشغولون بتنفيذ أوامر الرّب العظيم.

أريييدُ أنْ أموت! وجّه بطلة قصته وهي تنازع لحظاتها الأخيرة على يد زميله أدهشت كاتبها، حتى حرّف مجرى قصته فأنهاها بنهايةٍ مأزومة لبطله الميت.

-أريدُ أنْ أموت .. ! الشرارة التي تجري في عروقه جعلته يدرك أنه سيقطف ويتبخر، إذا هو لم يتحرك !

مخالفته لأمر مرؤوسيه وهم ينهرونه، ويأمرونه بالإبتعاد عن تغريدات ذلك الإيطالي المتبجح بموت وردتِه وبحصوله على ثلاثين شهادة دكتوراه وجائزة نوبل1 شنيعة جداً.

تحركت خطواته المعقوفة بإتجاه إحدى ردهات المشفى الباهتة، توقفت الحياة في داخله فجأة، لا يدري كم من الوقت مرّ قبل أن تتدفق الطاقة في عروقه كسيل هادر لتهدم سد الخوار من داخله تراجع قليلًا إلى الوراء، إتكأ على بقايا عمود معدني مرتبط بزجاجة بلاستيكية توسدت شريانًا مطاطيًا مرتبطًا بوريد ضحيته المتيبس، نظر بإتجاه القطعة التي أعثرته وأدمت كاحله الأيسر حتى جعلته يهدئ من خطوه مستسلمًا لعجلات صمته اللاهث.

قطّب حاجبيه، غير معقول، قطعة من لوحهم المحفوظ تأمره بالعودة وعدم إكمال مهمته الأخيرة، لاشك بأن هنالك خدعة قام بها هذا الإيطالي الماكر.

أحس بشيء يوهنه عن الوقوف، هل هذه هي نهاية مغامرته المُميتة؟

هل من الممكن أنْ يكونَ هذا العام مفتتحًا لعام آخر يراوغه فيه هذا الماكر ويتلاعب فيه بين سطور كتابته المتنوعة؟

وماذا بشأن تأوهاته التي ملأت أرجاء الغرفة ورغبته بالإجهاز على حياته التي قاربت الأربعة والثمانين عامًا واحد؟

رمقه بنظرة يائسة قبل أن يحاول أن يغادر ردهته الباردة، تذكر هرطقاته بإلتقائه بتلك الجدة المفترضة، وحمله لجرتها وهو يعيدها بكل وداعة إلى منزلها القصي دون أنْ يغتال نبضها ويزفّها إلى عرجون برزخه القديم2.

حاول أنْ يوقظَ عيون أصابعه وهو يشرع بأرجحة منجله المتكاسل، أصداء صوت تلك الجدة وهي تحثه على إنهاء حياتها، يخالط شبقه للعثور على كينونته المهدمة2.

يطالعه تاريخ السادس عشر من شباط1، المغروس في عنق الرزنامة المعلقة في وسط الغرفة.

تتشكل غمامة سوداء بينه وبين سرير ضحيته المنهكة، يأمره المنجل بالإسراع في الخروج أو الإجهاز عليه.

تقع عيناه على جهاز تخطيط القلب وهو يرسم بنبضاته نغماته المستفزة "أيها الرجل الطيّب، لست أنت من يستطيع إراحتي، إنّ الموت وحده هو مَنْ يستطيع أنْ يريحني بعد هذا العمر، وإنّي لأنتظره هو من يستطيع أنْ يريحني بعد هذا العمر، وإنّي لأنتظره.

ضاته نغماته المستفزة "أيها الرجل الطيّب، لست أنت من يستطيع إراحتي، إنّ الموت وحده هو مَنْ يستطيع أنْ يريحني بعد هذا العمر، وإنّي لأنتظره هو من يستطيع أنْ يريحني بعد هذا العمر، وإنّي لأنتظره

هو مَنْ يستطيع أنْ يريحني بعد هذا العمر، وإنّي لأنتظره.

بدأت الأرض تهتز وصراخ المنجل له بالإسراع، ظهرت سيقان خُضر سرعان ماأصفرت حتى اسودت وبدأت تتسارع في الصعود كأذرع أخطبوط عملاق وهي تنفث من بين مساماتها دخانًا أسود ، انقطع المنجل في التحدث إليه تقدم نحو ناصية السرير المجعد ليلقي نظرته الأخيرة إلى غريمه المشؤوم، حرك منجله قليلا، مودعًا لذلك الجسد الضرير ومرافقًا لتلكَ الرّوحِ المُعذبة إلى مأواها الأخير.

مصب البر منبعه

كريم حموتي

مازالت تلك الجدران واقفة وقفة الصامِدِ الشّامخ، ولازالت تلك الأمواج تلطُمُها في مَدِّها وتتوعَّدُها في جَزرِها حتى فَسَّخَتها من طِلائِها، وجَرَّدَتها عن بَلاطِها، فشَرعت تنخُر في حديدها فأهْرَأت أسْقُفها، حتى لم يعد يحُل بينها وبين تَسوِيَتِها بالأرض إلا أن تستعينَ عليها بعاصفةٍ أو عاصفتين.

انحَسَر وِشاح الليل عن عين الشَّمس، فرَمت أهذابها فوق تلك الطِّماء الزاخرة فأضاءت لها وكأنها السجَّادة الزرقاء، غير المحبوكةِ إذ لازالت شاردة عنها في الأطراف تلك الخيوط المُزبِدة البيضاء، خفيفة تكاد تتقاذفها الرياح في الهواء، كان أحمد مُكتَنِفا بجوف إحدى غُرف تلك الجُدران، لازال يُغالِب النَّوم هناك أن يَستَبقيه بقطيفَةِ غطاءٍ بالٍ، مرة يُلَفِّع بها رأسه أن يَطرُد عنه أغاريدَ النَّوارس ألا تُفسِدَ عليه نومه، ومرة يُسبِلُها إلى قدميه يَردَع عنها قرَّة البرد التي تَلسَع جلده، حتى سئم هذه وتلك فرمى عنه الغطاء وقام يَقصد والِدَته المريضة يتفقَّدُها.

رفَع عنها غطاءها فما علِم أرَفَعَه من فِرشة والدته، أم من دلْوٍ طافِحِ بالمياه،كان الغطاء في يده ثقيلا يترشَّح، فعلم أن والدته قد سال منها العرق في ليلتها سيلان الغيث من الوِديان، أخذ بذِراعَيْها حذِرًا ألا يبقى أحدهما في يديْه، ولازالت مفاصلها ترِنُّ بينهما رنين القوارير في يد الساقي

حتى أسْنَدها إلى وسادتها، فأدنى وجهه منها يبحث عن عينَيْن يُحاوِرهُما فلم يجد لهما إلا أثرا باقِيا في محْجريهما، وصدرا يخورُ فيه النفس خواره في الجذع الأجوَف، فسألها هامسا "مابك أماه؟"

فما أن افترقت شفتاها لِتنطِقا حتى افتَقَدتا ماتنبِسان به فبقيتا فاغِرتيْن، ووقر في خلده أن أمه عاودتها نوَبات الصَّرَع، وستُعاوِدُها إذا لم يُجرّعها جرعة الدواء، فتعاظم عليه الأمر وخَفَّ إلى دُرجٍ إذ وجد العُلبة خاوية على عروشها، فسقَطَ في نفسه سقطةً أظلمت لها عيناه، فحار بين خطواته بأيّهما يُقَدِم وبأيّهما يُحجِم، أزرَ أطرافَ أمِّه بإزارٍ دافئٍ حتى اطمأن عليها، فرَدَّ عليها بابها وأخذ يخطو نحو غرفته خطوات.

كان وحيد أمه بارًا، ويتيم أبيه صابرًا، مُتَعلِّمًا متفوقًا، ولازال في كدِّه واجتهادهِ دؤوبًا حتى ظَهَرَ على أترابِهِ في شتى العلوم، فانهالت عليه من الجوائز كُتُبٌ ذات طبعاتٍ ناصعة كاللؤلؤ المنظوم القيان، من العناوين الفاخرة كالياقوت والمرجان، فكانت هي من كل شؤون الدنيا ومآربها ما تنطوي عليه يمينه، ولازال بشماله يطرق عن العمل الأبواب الموصدة، وعما يَتَبَلَّغ به الكفاف من العيش القلوب المقفَلة، وإنّه لكذلك حتى نزل المرض بأمه في ليلة ساكنة، نزول الصواعِق بقُللِ الجِبال ذات دُلجةٍ هادئة، فلم يجد سبيلًا يشتري به أتعابَ طبيب، أو يَنقُدَ به فواتير صيدليٍّ، إلا أن يَبيع إحدى فلذات كبده تلك، ولازال ذاك المرض يُصانِعُهُ ويغيبُ مرة، فيُكايِدُه ويعودُ أخرى، وتلك الكتب تتساقط له من رفوف مكتبته تساقُط الأسنان من فَكِّ العجوز، وأبى إلا أن يأتِيَ على

آخِرِ سِنٍّ فيها، وهو الذي يحمله أحمد بين جَنبَيْه يَتَقَصَّد به مكتبة السُّوق.

على إيقاع ضربات قلبه الذي يضرب في قفص صدره ضرب الجلاميد على أبواب الحصون، يقتطف أقدامه من الأرض اقتطافًا، يَحُفُّ بين ذراعيْه آخر كُتبه، فما أن لَمَحَهُ الكُتُبِيُّ من واجهة دكانه حتى تَلَمَّظ لِسانُه وسال لُعابُه، فتجمَّع تجمُّع الديك المتأهِّب للوثبة، فقفز من مصطبته مُستَقبلًا:

"أهلًا وسهلًا سيد أحمد"

"مرحبًا ربيع"

"عَلَّك تريد بيع هذا الكتاب هو الآخَر؟"

"أجل"

فما كاد أن يُتمّها حتى انتزَعَ منه الكتبيُّ الكتاب نَزعَةً كادت أن تصطَحِب له معها قَلبه، فبَقِيَت يداه مُتَّخِذتيْن وضعية احتضان الكتاب في الهواء،واجتمَعَت الدموع وراء مُقلَتَيه المُحمَرتين اجتماع المياه وراء منافذِ السُّدود، فلَمَحَه يُمَرِّر كَفَّيْه على دِفَتَيْ كتابه الثمين تمريرَ السَّالِبِ الناهِب يديْه على خدود سبيَّتِه الفاتنة فقال:

"بورِكت ثمن كتاب اليوم سيَبتاع لك أربع علب دواء"

كان ربيع قد أُحيطَ عِلمًا بمُصاب أحمد، فتاجرَ بنكبته مُتاجرة الضباع بعرجِ الشِّياه.

فما استقَرَّت القروش في جيبه حتى استعادها منه الصَّيدليُّ، فأقحَمَ الدواء بين تلابيبه وأخذ يَقتَلِع به أقدامه من الأرض اقتلاعًا حتي وقف به في حِجر والدته.

ما كادت تموجُ جرعات الدواء في أحشائِها حتى انقشَعَتْ ضبابة الشُّحوب من مُحيَّاها، وأشاعت الحياة في صدرها، وزَحف الدم إلى وِجنتيها فتوَرَّدَتا، وإلى شفتيها فتَبلَّلَتا، فنطَقَت بعد أن مدَّت كفَّها إلى خدِّ أحمد تحنو عليه

"لقد بِعت آخر ما تملكه يمينك يا أحمد"

احتَجَنَ أحمد تلك الكفُّ من خده إلى بين شفتيه فانكبَّ عليها لثمًا وتقبيلًا قائِلًا: "وأي خطْبٍ من متاع الدنيا يغلو على نَفَسٍ واحدٍ تتنَفَّسينه بين جنبَيَّ يا أماه" أردَف: "لحظة واحدة أغيبُ فيها عنك وأعود لك بحساءٍ يُرَطِّب أمعاءك"

غادَرَها فشَخَصَت الأم بنظرات إلى سقفٍ تكاد تنفذ منه إلى السماء متمتمة مُستعبِرة.

فعاد وما بَرِحَها حتي تابَتْ من بين يديه إلى نومها هادئة مطمئِنة، بعد أن احتَسَت الحساء من بين أنامله قطرة قطرة.

لم يكن له من الأخِلاء إلا خليلٌ واحِدٌ يَسْكُنُ إليه، يَكشِفُ له عن ذاتَ نَفسِه ويَسْتَكشِف الآخَر عنها، ويُطلِعُه عن أسرار قلبِه ويستَطلِعُ الآخَر عنها، مُستَعمَلٌ على دُكانٍ يقوم على شؤونه وله منه أجرته الزهيدة، فكان أحمَد يَعمُرُ معه الدُّكان بين حين وآخَر، فيَبسِط أسباب رِزقه بين الزَّبائن، هذا بين حامِلٍ ومُساعِد، وأولئِك بين مُكرِمٍ وشاكِر.

ولازال يضرب بخطواته الأرض حتى وقفت به على عتبة الدكان، فألفى هناك صديقه مُنشَغِلا بتَرتيب السِّلَع على أحد الرُّفوف فحياه قايِلًا: "السلام عليكم يامسعود تاجرنا الكبير"

فأعلَمَت النَّبَرات مسعودًا أن صاحِبَها من أحب الخَلقِ إليه، فابتسَمَ قبل أن يلتَفِتَ قايِلًا: "وعليكم السلام ياعالِم زمانه ونابِغَة أوانِه"، لكن ما أن التقَت العين بالعين حتى اخْتُطِفَت البسمة من فاه مسعود كما يختطف السواد وميض البرق، فراعه من شأن صديقه ما راعه فاستفسره بنبرة مُرتجفة، "ما بك يا أحمد وما بال عيناك المتورِّمَتَين؟"

ردَّ عليه أحمد بعد أن ازدرَدَ ريقا مُرًّا: "أبى الدَّهر يا مَسعود إلا أن يُوفِذَ في كبدي آخِر سِهامِه، وأبى كبدي إلا أن يَستَقبِلها منه استقبال المُضَيِّفِ المُرَحِّب".

ارْبَدَّ وجه مسعودٍ وارفضَّ جبينه عرَقا، فخطا خطوتين نحوه فأخَذ بِكَتِفَيه سايِلًا إيّاه

"لعلَّ النَّوبة عاودت أمك فبِعتَ آخر كتبك وأحبُّها إليك يا أحمد؟"

أطرَقَ أحمد برأسه مما هيَّأ لِدمعَتَينِ أن تلفِظا أواخِرَ أنفاسِهِما بالأرض، فأشاح الآخر بوجهه عنه كي يتَسَنى له أن يَمسَحَ دَمعَتَيه سِرا، ثم عاد وأعاد يدَيْه إلى مكانهما من كتفيه مُردِفا

"لا عليك يا صديقي، فما نقرأ الكتب ونتعلَّم منها إلا للتفقُّه في عبادة الله بعمل الدنيا وعمل الآخرة، ومن أعظم ما أوصى به الله عباده الإحسان بالوالدين، ولا أراك قد أقدَمْت على ما

أقدَمت عليه إلا إمتثالًا لأمرٍ تَسْتَحِثُ عليك مضامين تلك الكتب أن تقوم به" فأصابت تلك الكلمة من قلب أحمد موضِعا وطيئا.

وإنهما لكذلك إذ فَرمَلَت سيارة فاخِرة أمام باب الدكان، أعرَبَت عن كَهلٍ بهيأة الأكابر، مُعقرَب الشارِب، مُتكامِل الأطارف، مالِيٍّ عباءته، بعد أن ألقى عليهم السَّلام هتف بهم : "أريد ثلاثة قوارير غاز من الحجم الكبير، وعامِلًا يُرافِقُني يقوم بتركيبِها في المنزِل"

فرَبَّتَ مسعودٌ على كتف أحمد قايلًا: "هيا يا رجل، علَّ ربَّك يُكرِمك في صباحك هذا"

فما هي إلا كَرَّة الطَّرف حتى وجد أحمد نفسه يُرَكِّب القوارير بين بُنيانٍ من أفخر ما سكنه بنو البَشَر، أبهاءٌ شاسِعة وحدائِق غنَّاء، أعمدة مُزَخرفة وأسقُفٌ منقوشة وقِبَبٌ مَرفوعة، فاستنبط من الغُبار الذي كاد أن يَطمُسَ كل معالِم الأثاث أن المنزل شبه مهجورإلا الموضع الذي يُركِّب فيه القوارير وغرفةٌ مجاوِرة، وإنه لفي عمله إذ شَرِدَتْ منه نظرة لجوف تلك الغرفة، فصُعِق مما رآه صعقة تَزايَلَت لها أطرافه وتخاذلت بها أوصالُه.

ولازال بعدها يَستَمسِك ويَستأزِر ألا يَسقُط في بعضه حتى أتمَّ عمله، فقَدِمَ إلَيه صاحب المنزل مادًّا إليه جُعْلَه أن يَتقاضاه لِيَنصَرِف، غير أن أحمد قبض إليه يده مبادِرا الرجل بسؤال على استحياء قايلًا: "هل لي أن أتقدَّم إلى حضرتكم بسؤالٍ بعد إذنكم إن تَكَرَّمت؟"

أجابه الرجل: "أجل، تكلم"

"إني يا سيدي لا أحسب إلا أن هذه المكتبة الفريدة التي في الغرفة ملكك، فهل لك يا سيدي أن تُرشِدَني إلى الطريقة التي خَلُصَت بها إليك، علّني أتسبَّبُها لربما خَلُصَت إلَيَّ بها مِثلُها؟"

"نعم هي مِلكي، وكنت أبتاعُها من كُتُبِيٍّ في مكتبة السوق اسمه ربيع، أخبرني أنه يَبتاعُها من أحد التُّجار بثمن باهظ، فأشتريها منه بثمن أبهظ، وصباح اليوم قد باعه صاحبها عنوانا آخَر فاتصَلَ بي وأخبرني به، فنهَدتُ إليه واشتَرَيته منه، فكانت غنيمة باذخة"

لا أحسبه إلا ثبات الأفذاذ، وتَجَلُّدِ أُسْدِ الغاب، أن بَقِيَ أحمد في مكانه قايئمًا ولم يخر في مكانه صريعًا، فألقى عليه سؤالًا آخر لما أنِسَه من سِعة خاطِر الرجل.

"هل لي أن أنشُدَك خدمة يا سيدي، لا أظنك مُحسِنا إلى غيري كإحسانك بي إن أغثتني بها؟"

"قل، ما الخَطب؟"

"أن تقبلني يا سيدي خادما عندك، أقوم على شؤونك قيامَكَ بها، أغسِل ثوبك وأُنضِجُ طَعامَك، أُنظِّف آنِيَتك وأوَظب فِراشَك، على أن تَجعَلَ أجري ساعة واحدة أختلي فيها بتِلك المكتبة ولا أجر لي عندك غيرها".

وقف الرجل من أمره وقفة المُستَغرِب المُستريب، وأخذ يُصعِّد نظره فيه ويُصَوِّبُه لبرهة، ثم نطق بعد لأيٍ"لك ذلك،،استأنِف عملك" أبرَقَت الأنوار في وجه أحمَد وتهَلَّلت َأساريرُه، وإنها كسرعة العفاريت حتى أحال المنزل ناصِعَ البياض وكأنه جنة

من السماء سقطت، تراقصت أشعة الشَمس على أرضِيَّتِه رقصَها على مياه البُحَيرة، وما أن فرِغ حتى أرخى المكنسة والمنديل من يده، فطار بقدمه إلى المكتبة يَتَنَجَّز منها ساعة أجره المتَّفَقِ عليها.

هناك اختلى بها اختلاء الحَبيب بمَحبوبه، أو قل انفَرَد بها انفراد الفقيد بمَفقودِه، حتى ليَحير المتأمل في أمرِه هَل الكتب تُقرأ منها الأوراق، أم تُحضَن بالأحضان وتُطوَّق بالعِناق، أُخِذَ في حَضرَتِها أخذة العابد الزاهد في لحظة وَجدٍ في سجدته، أسهمَ في فضائها بدل الساعة ساعاتٍ طِوالٍ، فما رَدَّ عليه وعيه إلا سلامٌ ألقاه عليه صديقه مَسعود.

داعبت تلك النَّبرة المَألوفة طبلة أذنيه، فالتفت إليها التفاتة المُستكشِفِ الحائِر، ثم انتفض بعدها من مكانه انتفاضة الفرخ المذبوح من هَول المنظَر.

رأى مسعودا ماثلا أمامه يُخاصِر أمه ويُسنِدُها إليه ألا تسقُط منه وصاحب المنزل خلفهما، فأشفق الرجُل على أحمد ألا ينقطع منه النَّفَس من وَقعِ الدَّهشة فأنشأ قائِلًا مُستَرسِلًا: "رُويدَك يا أحمد لاتندهش، فأنا صاحِبُ فِراسة، فعندما رأيتُ في عينيك دموع الهُيام حينما رأيتَ الكتب، وسألتني ذلك الطلب الغريب، خامرني خاطرٌ أن وراءك خطبا ذا بال، وكان المنزل مجهزًا بمعدات التصوير والمراقبة، ولازلت أراقبك من وراء حجاب وأنت تَبذُل مجهود الجبابرة في التنظيف حتى استحقَقتَ ساعة أجرك، فرابني ما رأيته منك بين تلك الكتب إذ تَلقُمُ صفحة قراءة، وتخضّب أخرى دمعا، فلم أجد مندوحة من استقصاء مكامن خبرك، فرَدَدتُ عنك باب المنزل إلى

المكان الذي رأيتك فيه أول مرة، فلم أزَل أسْتَبينُ عنك الدُّكانِي وأستَوضِحه عنك حتى أوقَفني على جملة خَبَرِك، فأعظَمَك قلبي كل الإعظام وأكبرَك كل الإكبار، فكان أول ما فَزعنا إليه أن انتَشَلنا أمك من ذلك البيت المُشرِفِ ألا يهوي عليها، وهذا هو منزلكم الجديد بمكتبته، فأنا من المقيمين خارج الوطن، والذين لم ينعم الله عليهم بنعمة الولد، فعوضه عن ذلك بحب العلم وأهله، وثروة تعجز عن حملها ظهور الآبال، علَّ الله يغفر لنا بهذا الصنيع ما حرزناه منها بغير طُرقه المشروعة، وإني في أمس الحاجة لظلِّ يدك البيضاء الأمينة على استثماراتي في هذا البلد، وأعلم يابني أن كل مصبّات البِر هي نفسها منابِعُها".

ضياع

محمد لعروسي

جلس في المقهى يدخن سيجارته وينظر بوجوم ناحية الصيدلية، ينازعُ نفسه "كم أشعر بالعار وأنا أتخيل نفسي أطلبه من الصيدلي، شاب أعزب من سيصدق أنّي متزوج"، أنهى سيجارته وقام من مكانه فأخرج من جيبه العشرين درهمًا، ووقعت على الأرض ورقة مطوية، انحنى بكامل جسده لالتقاطها ثم تذكر الرجل الغريب الذي التقاه البارحة صدفة في محطة الحافلات إذ أخبره أنه يبحث عن عمل وأن البحث قد أضناه، أخبره الرجل أنْ يتصل على الرقم المدون على الورقة "لقد أخبرني أنّي بعد شهرين من العمل سأصبح ذا مالٍ وفيرٍ، هل عليّ أنْ أصدّق الغرباء؟".

وقف أمام الصيدلية مترددًا في الدخول، لكنه تجرأ أخيرًا "مرحبا، أريد عازلًا ط...طنينيا" نظر إليه الصيدلي باستغرابٍ، فردد قائلًا: "إنّه يوضع في الأذن يسمونه أيضا عازل الأصوات"، فرد عليه الصيدلي بالنفي، فخرج ووجه قد احمّر وتعرق جسمه " اللعنة، لقد كدت أنْ أوقع نفسي في الفضيحة، تبًا لك يا شيطاني".

مضى في الشارع الطويل شبه شارد، تداعبُ رياحٌ خفيفة معطفه الطويل الأسود، بعد لحظاتٍ من المسير والشرود، توقف قليلًا فأخرج الورقة ودوّن الرقم على هاتفه، "انتهى رصيدكم من المكالمات، المرجو إعادة تعبئة حسابكم"، أرجع الهاتف إلى جيبه وأخرج حافظة نقوده التي لم يتبقَ فيها غير خمسٍ وعشرين درهمًا، أخذ خمسة دارهم واتجه ناحية البقال

القابع دكانه قرب صالون الحلاقة النسوي، اشترى التعبئة وأدخلها ورقن بعد ذلك الرقم الموجود في الورقة، "هاتف مخاطبكم مشغولٌ حاليًا، المرجو إعادة الاتصال لاحقًا"، بدأ الغضب يتمالكه وبدأ يحك رأسه بشدة، فتمالكته رغبة شديدة في حلاقة شعره الطويل المليء بالقشرة، دخل صالون الحلاقة غير آبهٍ بالنسوة اللاتي ينتظرن دورهن في تصفيف شعرهن أو صباغته أو تزيينه... جلس بجوار المنتظرات اللاواتي أخذن يرمقنه باستغراب، أقبلت إليه صاحبة الصالون فسألته، أخبرها أنّه يريد حلق شعره فأخبرته إنّه صالون حلاقة خاصٍ بالنساء فقط، قام من مكانه وقد احمّر وجهه خجلًا فخرج مطأطأ رأسه يلعن عقله الغائب، وانفجرت عليه النساء في الداخل ضحكًا واستهزاءً.

مضى في طريقه وهو يعاتب عقله على الموقف الحرج الذي وضع نفسه فيه، أخرج الهاتف من جديد وأخذ يتصل بالرقم دون جدوى، مسح الرقم من هاتفه وأخرج الورقة ومزّقها "لا تصدّق الغرباء، أحمق من يصدقهم، حقًا إنّي أشعر بالغباء".

أخرج علبة السجائر، ووضع سيجارة في فيه، فأخذ في خطوات متباطئة يستمتع بإخراج الدخان من فمه رافعًا رأسه إلى السماء كأنّه ينتظر من دخان سيجارته أنْ يصبح سحابة في السماء، وبعد لحظات لمح لوحة الإشهارات "إبعث كلمة (ربح) إلى الرقم 5050 أو اتصل بالرقم 9090 لتربح معنا سيارة فاخرة"، أخرج هاتفه ودوّن الرقم الأخير فوجد الخط مشغولًا، ثم أرسل الكلمة إلى الرقم الأول، بعثوا له رسالة يخبرونه فيها عليه أنْ يكرر المحاولة عدة مرات لترتفع

حظوظه في الفوز، اتصل مجددًا لكنه مشغول فقرر تكرار المحاولة كلُّ أربع أو خمس دقائق، جلس في أحد المقاعد العمومية لفعل ذلك، استغرق منه الأمر ساعة ونصف دون جدوى، فتسرب إليه مزيج من اليأس والغضب قائلًا في نفسه" لا تصدق الإشعارات ما هي إلّا محض خرفات".

أخرج علبة السجائر من جديد ووضع واحدة في فمه، وفتح هاتفه متصفحًا (الفايسبوك) حيث أبدى انسجامًا تامًا مع هذا العالم الافتراضي، حتى أنْ كرة طائشة لصبية قد اصطدمت بساقه ولم يبد اهتمامًا ولم يرفع رأسه حتى، فأقبل أحد الصبية لأخذ الكرة معتذرًا لكن كمن يتحدث لصنم لا يتحرك من جسمه غير إصبعه الكبير، لكن حاله هذا لم يستمر حتى وقف أمامه ثلاثة شبان حانقين، إذ نزع أحدهم الهاتف من يده، نظر إليهم بهدوءٍ مستغربًا، إنْ حالتهم لا تبدو على أنّهم لصوص، فالناس في كل مكان هنا، بين أسرٍ وأزواجٍ وعشاقٍ وتلاميذ يراجعون، مَنْ يكونون إذًا؟

سألهم فرفع أحدهم أكمام قميصه عن ساعديه يُهم بضربه، فسأله الذي أخذ منه الهاتف "أنت من كان يتصل بأختي؟ ستدفع الثمن"، فرد عليه واقفًا: "لا شك أنّه سوء تفاهم، أنا لا أعرف أيَّ فتاة، ثم أبحث في الهاتف عن رقمها إنْ وجدته"، بحث الشاب عن رقم أخته في الهاتف ولم يجده، تبادل النظرات مع أصدقائه فنفى برأسه الأمر، ثم أرجع الهاتف إليه معتذرًا عن تهوره وتسرعه، أخذ هاتفه يقول في نفسه: "ليتني كنت محظوظًا وتعرفت عليها، أقسم بأنّك ما كنت ستعرفني ولا وجدتني، يالهم من حمقى هؤلاء الناس"، أشعل

سيجارته من جديد وأخذ يتأمل في بائع الفشار وهو يقول: "آه، لقد عجزت أنْ أكون مثله، يالي من ضائع في هذا البلد".

استغرق في تأمله، تأمل في الذرة وهي تتحول إلى فشار، فسمع صوتا من أعماق ذاته يحدثه قائلًا: "هكذا رئتيك مثل الذرة، تقلى بدخان السيجارة حتى تصير كالفشار محترقة، ويصير مالك كالرماد هباء أنت تزيد الطين بلة وتكرس الفشل في حياتك وتصير ذاتك حاوية لأنواع الهموم والألآم، وتساهم في تعاستك ونكد عيشك انظر إلى نفسك كم تحتقرك تتمنى لو أن صاحبها شخص غيرك، أتتذكر صبيحة اليوم عندما قمت من فراشك ونظرت في المرآة، إذ أحسست بأنك مجرد صورة مشوهة"، عدل جلسته بعدما أحرقت السيجارة أصبعيه وانتشلته من تأمله، أحس بصداع في رأسه، فقام عائدًا إلى بيته، يجر أذيال الخيبة في نفسه، اختلطت مشاعره بين رغبة في الصراخ ورغبة في البكاء، لم يعد قادرًا على تحمّل رؤية والديه له وهو على هذه الحال عاطلًا لا عمل ولا أمل، فتح الباب وقبّل رأس أمه التي لازمت سجادتها تدعو رب الكون أنْ يفتح عليها وعلى أسرتها وابنها فتحًا مبينًا.

أشعل التلفاز وارتمى على الأريكة وزفر زفيرًا طويلًا كأنّه يحاول أنْ ينفّس على ذاته ويخرج ما كان عالقًا في دواخله، واستقر به الحال في إحدى قنوات الأخبار التي كانت كل ربورطاجاتها حول الأزمات والحروب التي تقبع فيها جُلَّ الدول العربية، حزّ في نفسه الأمر وقال: "يبدو أنّه أينما ذهبت لن تجد السلام، إنْ مات السلام ماتت الأحلام"، غيّر القناة إلى قناة إخبارية أخرى والتي أعدت تقريرًا حول الهجرة السرية وما يتعرض له المهاجرون في عرض البحر

والسواحل من غرق وموت إنْ نجحوا في الوصول، فإنّهم يقابلون بالرفض والنبذ، فأخرج زفيرًا آخر" يا ربي ما كل هذا الألم، لا دار ولا ديار غير النكد والحصار، نحن حقًا نعيش في مقبرة إسمها الدّنيا"، ثم غيّر القناة إلى أخرى سينمائية حيث يباع الوهم وكل شيء جميل، عالم مثالي حتى المأساة فيه جميلة، وضعت أمه صينية الشاي فوق الطاولة، أفرغت له كوبًا، ونظرت إليه مستبشرة قائلة:" لقد اتصل بي خالك، وأخبرني أنّهم سيعودون الأسبوع المقبل إلى أرض الوطن، كما أخبرني أنّه يريد أنْ يزوج ابنته أمل والتي تخرجت حديثًا من كلية الطب، وهو يريد لها زوجًا موثوقًا يعيش معها في فرنسا ويتمنى أنْ تكون أنتَ ذلك الزّوج، وأعتقد أنْ هذه فرصتك أيضا للذهاب إلى فرنسا والبحث عن العمل وستكون ابنة خالك عونًا وسندًا لك"، وضع الكوب فوق الطاولة وأخذ يحكُّ رأسه فرد عليها قائلًا: "حسنًا، إن كان هذا ما تريدينه أنت، فعلى الرحب والسعة، أنا موافقٌ"، ملئت صدر أمه سعادة غامرة وتعالت زغاريدها، أما هو فقد اكتفى بابتسامة وأخذ يتخيّل نفسه مكان بطل الفيلم الذي كان يشاهده.

هلوسات قُبيل المغيب

محمد الصديق

كان صوتها يطغى على كلِّ شيءٍ، ثلاثة عشر أوزة تتزلج فوق المياه الفيروزيّة للبحيرة، لا أعلم كم كانت الساعة حينها، ليس لأنّي لاأمتلك ساعة، أمتلك واحدة بالفعل غير أنّها للزينة فقط. ربما مضى ستة أشهر منذ أن سقطت من معصمي و اختفى عقرب الساعات منها، أنت تعلم في مثل هذا العمر، ساعة يد خاتم نظارة تميل إلى اللّون الأصفر، كلُّ هذا يضفي بعض الرسمية على ملامحك، هذه نقطة مشتركة بيننا وبين البهائم، إنّنا ننخدع بالمظاهر كثيرًا.

كنتُ أجلس على كرسي من الرّخام الأبيض، أقابلُ خيام السحاب التي تدفعها الرياح لتختفي رغمًا عنها في الأفق، شعاع الشمس خائر القوى كان ينتظر الفرصة المناسبة ليتسلل ويراقص سطح البحيرة، لم يكن منظرًا شاعريًا بحق، كان أشبه بأمسيةِ سجينٍ ينتظر إعدامه صبيحة الغد، لكن تلك الفتاة العشرينية كانت تصفه للرّجل المسمّر بجانبها وكأنّها تشاهد بحيرة إستكلندية في فصل الخريف، كان ساكنًا أكثر من أيّ شيء في هذه الحديقة، تتكأ يُمناه على عصا خشبيةٍ يبدو أنّها تِركة من جد جده، و رغم أنّ الأوز كان يداعب حنجرته مرارًا وتكرارًا بالماء بسبب حرّ أغسطس، إلا أنّ هذا العجوز كان يرتدي لباسًا شتويًّا، هذا ليس حاله وحده فكل كبار السّن يفعلون هذا، أظنّ أنّ خللا ما يصيب الشعور في الجسم عندما يتقدم بنا العمر، نصبح كتلة من اللحم و العظم

و بضع لترات من الدماء يلف كلّ هذا قطعة من الجلد، وتندثر كلّ أحاسيسنا، وإنّ واحدة من أسخف الطرق البشرية لتدمير إحساسك هي صناعة كرسي من الرّخام، هذا ليس أمرًا حضاريًا حقًا فمن سيجلس عليه صيفًا قد يترك بعضا من وزنه هناك وهو ينهض من عليه.

بعد أنْ بدأ الظلام بالتسلّل إلى الجو تحركت الفتاة العشرينية وهي تأخذ بيد ذلك العجوز، بياض واضح يجول داخل عينيه يبدو بأنّه كفيف لهذا لم يحرك ساكنًا، لقد كان يحاول تصوير المنظر في عقله عن طريق ما يسمعه من الفتاة، لا أظنّها قامت بمهمتها جيدا، كان يكفي أن تقول أنّ هذا المنظر أشبه بحريق أصاب مزرعة برتقال غير أنّها اكتفت بوصف الأوز الذي يتبختر على سطح البحيرة وتلك الأشجار المصفرة على جوانبها، جلّ ما كانت ترتديه كان ميتا، حذاء أسود بنطال أسود و قميص أشدّ سوادًا، أظنّها ذلك النوع من الأشخاص الذي لا ينظر إلّا إلى الجزء الذي يحمل أشواكًا من الوردة.

لم يمضِ الكثير من الوقت قبل وصول ذلك الرجل الناضج كما يدعو نفسه، موَظف في إحدى شركات السكة الحديدية، حسب ما أذكره من آخر حديث دار بيننا، هو يأتي إلى هنا كل يوم مباشرة بعد انتهاء دوام عمله، يقول أنّ الجلوس عند طرف هاته البحيرة يجعل روحه و أفكاره نقية وصافية، حقًا إنّ هذا ما قاله، أنت تعلم ظننته أبلها بادئ الأمر، لكن بعد أنْ أراني كل تلك الكدمات والخدوش على بدنه علمت أنّه يعاني أكثر من أيّ شخص يأتي إلى هنا، إنّها زوجته، تنهال عليه ضربا كلّ ليلة بحجة تهمشيها، وفوق هذا هو من يطلب السماح

منها، و يخصص من الدنانير التي يجنيها كل يوم ما يشتري به لوحًا من شوكولا البندق واللوز لفخامتها، استدار مباشرة نحوي و حيّاني بابتسامة خفيفة لا تكاد تظهر من مكاني هذا، رفعت يدي لأردها غير أنّه أدار ظهره قبل أنْ أدركه، ليتني لم أفعل هذا، بدوت كشخص يحاول لفت الانتباه إليه، خاصة عندما رمقتني تلك السيدة بنظرة غراب، كأنّها مطلقة تنظر إلى زوجها السابق، غير أنّي لم أكن بليدًا كزوجها الأحمق، كل يوم جمعة كانا يأتيان إلى هنا ليطعما الإوز و يتبادلا نظرات العشاق و الإيحاءات السرية إنّها امرأة مسكينة، كانت تحاول أنْ تعيش حياة مليئة ببعض الدراما و التشويق، غير أنّ ذلك الصنم لم يقدر أيًّا من هذه المشاعر ولو مرة واحدة.

لطالما أنهى تلك الزيارات بوابل من الصراخ وشدٍ من الشعر، علمت أنّهما انفصلا بعد إنْ أتت ذات يوم غير الجمعة، وحدّقت قليلا في البحيرة قبل أنْ ترمي ذلك الخاتم إليها، تسابق الأوز حينها لالتقاطه ظنّا منه أنّه قطعة خبز، لقد كان أكثر منظر بائس رأيته في حياتي، لقد تغيّرت كثيرًا بعد ذلك، كانت أشبه بفتاة صغيرة لا تزال تؤمن بوجود فرسان الأحلام، أمّا الآن فصارت تبدو كعجوز في السبعين من عمرها تذوقت طعم الحياة المريرة، حقًا إنّ لقب المطلقة يغيّر الكثير في المرأة، تعيش في دوامة الخطأ ونظرة الناس القاسية، بينما يفلت الرجل بذنبه، أنا لا أفهم لماذا ينتقد الناس امرأة مطلقة بينما لا ينتقدون رجلا طلّق زوجته ؟...أليس كلاهما بدون زوج الآن !! هذه حماقة حقا، لكن أتدري....هي لم تتغير للأسوأ حقًا، لقد أصبحت تهتم بنفسها أكثر، حتى أنّني صرت ألاحظ غمازاتها كلما تبسمت لي.

ها قد أتت كعادتها تمامًا....إنّها لا تتأخر أبدًا، يبدو أنّها ترتدي حذائها الجلدي ذو اللون الصنوبري إنّها تبدو كغزالة حينما ترتديه، لعلها أكثر من يستحق الاحترام في حياتي، رغم أنّها استقلت بحياتها بعيدًا عنّي منذ ثلاث سنوات، غير أنّها ما زالت ترعاني كطفل صغير، كنت أبًا لها والآن أصبحت أمّا لي. إنّ معادلة الحياة حقًا عجيبة، أتذكّر عندما كنت ألعن حظي لمّا كانت تتعثر في مشيتها وهي في شهرها الثامن. و الآن ها هي ذي يدها تحضن يدي وتقودني إلى البيت، أظنّ أنّ حياتنا مجرد عجلة تدور وتدور، لتتكرر لنا نفسُ الأحداث، في أماكن جديدة وبوجوهٍ مختلفة فقط، ولأنّنا أغبى مما نبدو عليه لا نتعلم أبدًا كيف نعيشها ونستمتع بها.

الهروب نحو الموت

منال النواصري

فجر الواحد والعشرين من شهر تموز، خرجنا إلى الطريقِ نحو المجهول، في شاحنةٍ اكتظت بالهاربين، اخترتُ أنْ أصعد فوق الشاحنة كي تلفح وجهي بعض النسمات الخجولة، جيوشُ الخريفِ قادمةٌ وستحتلُ الأوراق المتساقطة الأرصفة عمّا قريب.

حلّق سربُ الطيور فوق رؤوسنا حتى حجب خيوط الشمس المتسللة من جوفِ السّماء، غريبةٌ هي الحياة فبين غادٍ ورائحٍ يظلُّ القدر رفيق الاثنين كالموت تماما مهما تفرقت السّهزبل أو تقاطعت، كان علينا الإسراع في الوصول قبل أنْ تتدفق أشعة الشمس ويسري لهيبها وسط الجموع، فقد تكورت الأجساد والتصقت ببعضها البعض كقطعةٍ من أحجويةٍ ركّبها طفل صغير بشكلٍ عشوائي.

وصلنا إلى طرقِنا الجديدة لبدايةِ حياةٍ جديدةٍ، هذا ما أراده كلَّ واحدٍ فينا، تلك الأم مقوسة الظهر شريدة القلب زائغة العينين تأمل ألّا تفقد واحدًا من أطفالِها مرةً أخرى، تعلم أنّها لن تمنع ملك الموت من قبضِ الأرواح لكنّها لا تكف عن تفقّد أولادها كل ثانيةٍ، ذلك الشيخُ هاربًا أيضا، إنّه وحيدًا من بعد الآن سيسلكَ أحد هذه الأزقة الضيّقة ليكملَ ما تبقى من عمره، الواقع أنّنا هربنا ونحنُ أنصاف بشرٍ، أنصافُ أرواحٍ وقلوبٍ، أهذه هي الحياةُ الجديدة؟ ما فائدتها إنْ كانت

حياتنا القديمة قد أخذت منّا شغفُ الحياة ورحلت؟ ربما لن نسمع دوي الانفجارات مجددًا، ربما لن تقع القنابل فوق منازلنا لتمزق أشلائنا ولن يعتقل الجنود أحبابنا، لكنّنا لن نخرج من شرنقة الذّكريات والخوف، الخوف من الماضي والمستقبل واللحظة.

نزلت في فندق للمسافرين كي أرتاحَ قليلًا من عناء السّفر، فرحلتنا في الشاحنة أفقدتني الشعور بأطرافي، تمددت لأريح جسدي فالرّوح تأبى أنْ ترتاح وتشفى، هذه حال جرحى الوطن.

لا التعب ولا الجوع سمحا لي بالظفر بالقليل من الراحة، لذلك قررت الذهاب لشراء بعض الأطعمة المعلبة تكون كافية لي مدة يومين، عندما خرجت وجدت فتاة تبدو في منتصف العشرينات كانت على وشك طرق باب غرفتي، ماإن رأتني حتى اضطربت وهمت بالمغادرة لكنّي صحت بها فتوقفت.

_انتظري يا آنسة، كنت ستطرقين الباب، هل تحتاجين شيئًا ما؟.

ترددت وقالت بصوت مرتجف: أخبرني موظف الاستقبال أنْ جميع الغرف بها نزلاء ولا مكان لدي لأبيت فيه هذه الليلة الماطرة، ظننت أنْ فتاة تقيم في هذه الغرفة وكنت سأطلب منها أنْ تسمح لي بمشاركتها الغرفة، لكن...

_لكن أنا رجل كما ترين، والرجل لا يترك امرأة تبيت في العراء وهو ينعم بالستر والدفء، أدخلي وارتاحي فالجو باردًا جدًا، سأجلب بعض الطعام وأعود.

طوال الطريق وأنا أفكر في تلك الفتاة الشابة وفي أولئك الرجال والأطفال والنساء الذين أصبحت أعلم ما في سرائرهم دون أنْ يبوحوا بها، ففي النهاية نحن نتشارك نفس الألم.

سمعت عن برودة الشتاء في أوروبا وها أنا ذا اليوم أشعر بها تلسعني، كان عليّ أنْ أتخيّر موضع قدمي فالطريق زلقة ومكسوة بالصقيع، دخلت إلى غرفتي فوجدت الفتاة المسكينة تحاول إشعال الموقد فناره خمدت، و ياليتها خمدت في قلبيّنا الصغيّرين، صغيّرين لأنهما مازالا ببراءة قلبِ طفلٍ صغيرٍ، كلّ مايريده من هذه الدنيا حب وحنان وحضن دافئ يأوي إليه في المساء حين يعود من اللعب، وبعض قطع من الحلوى.

_سأشعل الحطب يا آنسة فلتتدفئي جيّدًا وإنْ احتجت شيئًا فأنا بالأسفل ناديني فحسب.

_نظرت إليّ بعينيها الذابلتين وقالت بصوتها المرتجف المتحشرج: أبق هنا معي لو سمحت، هذه غرفتك ولست مضطرًا لمغادرتها، إنْ كان طلبي لا يزعجك بالتأكيد.

_نسيت أنْ أعرفكِ بنفسي، أنا اسمي آدم وأنتِ؟.

_أنا قدس، تشرفت بمعرفتك.

جلسنا سويّا ومددنا أيادينا نحو اللهيب ليسري الدم في عروقنا ولم نتكلم بشيءٍ، كلُّ واحدٍ فينا راح يجترُّ أحداث حياته في سكونٍ فما عاد البوح يجدي وما عاد هناك ما يستحق أنْ نتحدث بشأنه، فكلَّ شيءٍ تفضحه عيوننا وهيئاتنا، أما الأفئدة فتضج بلا هوادة.

لاحظت أنْ الفتاة مازالت ترتجف رغم الدفء الذي دثّر الغرفة، أعطيتها لحافًا لكنّها رفضته وقالت وهي تنظر نحو الفراغ كأنّما تشاهد أحدًا ما: إنها رجفة الرّوح يا سيدي.

شعرت بالفزعِ حين ألقت تلك الكلمات، لكنّي تمالكتُ نفسي وقلت لها: ستتحسن الأحوال ثقي بالله.

رأيتها تبتسم لأوّل مرة منذ التقينا، جعلتني أدرك أنْ الابتسامة تظلُّ شيئًا جميلًا حتى لو كانت نابعة من قلب واهن مجروح، قالت بلهجة حالمة وهي تفرك يديّها: أريد أنْ نتحدث عن الأشياء السعيدة فقط طوال هذه الليلة، الأشياء السعيدة فقط. أجبتها مؤيّدًا: فكرة رائعة، بماذا تريدين أنْ نبدأ.

_حسنًا، فلنتحدث عن الكتب والأدباء والرّسامين وحتى عن الطعام الذي نفضله، المهم أنْ يكون كلامنا إيجابيا خالٍ من اليأس والسلبية التي فاضت بها أيّامنا.

تناقشنا في أمورٍ عدة وتبادلنا الآراء في شتى المجالات، يمكن أنْ أقول أنْ تلك الليلة كانت دافئة بتلكَ الأحاديث الصادقة الحالمة، كان لطفولتنا الجزء الأكبر من حديثنا فقد كتب الله لنا فيها ذكريات لا تنسى ولا تتكرر، في ذلك الوقت لم تكن هناك حرب ودماء، على الأقل حظينا بأيام ناصعة وهانئة، حينما كانت قدس تتكلم بأمل وسعادة أدركت كم هي قوية رغم كلَّ شيءٍ، قوية رغم الخراب الذي استوطن كيانها وعبث بملامحِ وجهها الملائكية.

لا أنكر أنّي انجذبت لها بكل جوارحي وشعرت أنّها من ستملأ فراغ روحي وقلبي.

_ماذا ستفعلين فيما بعد؟ أقصد هل لديك مكانًا تذهبين إليه؟ عائلة مثلًا؟.

تفطنت إلى أنّي أخطأت في سؤالها فقد ارتبكت وعاد الحزن ليخيم على قسماتها، لكنّها قالت متماسكة: لا، وأنتَ هل لديك أحدٌ.

_وأنا أيضًا وحيدٌ لا أحد لديّ، حتى أنّه لا مكان أبيت فيه فبعد غدًا ستنتهي إقامتي في الفندق.

ران علينا الصمت للحظاتٍ وشردت قدس بعيدًا، أما أنا فكنت أقاتل الأفكار التي تزاحمت في عقلي بكل فوضوية وقلت بعدما حسمت أمري: هل تقبلين الزواج بي؟ أعلمُ أنّي فاجأتك وربما تسرعت بيد أني سأفعل كل ما بوسعي لكي لا نحتاج شيئا.

_ليتك فكرتك أكثر يا آدم، أنا لست المرأة المناسبة صدقني.

قررتُ غلق الموضوع في الوقت الراهن والتريث بضعة أيّامٍ أخرى حتى أتأكد من مشاعرنا تجاه بعض، خمدت نيران الموقد بعدما صلينا صلاة الفجر وآثرت أنا الانسحاب إلى الفراش كي أنام، أما الفتاة فبقيت فوق سجادتها رفقة مسبحتها التي لم تفارقها.

حين نهضت وجدت قدس لا تزال فوق سجادتها وهي ممسكة بالمسبحةِ دون حِراك، ناديتها لكنّها لم تستجب وعندما دنوت منها رأيت وجهها شاحبًا وجسدها يرتجف بشدة، نظرت إليّ ثم اندلقت الدماء من فمها كالشلالِ وسقطت على الأرض بلا حِراكٍ.

أسرعت بها نحو المشفى على أمل انقاذها، لكنّها ماتت وانتقلت إلى حيث سترتاح، أخبرني الطبيب أنْ البرد تمكن منها في الأيام الماضية فقد أصيبت بذات الرئة ولم تخضع للعلاج، كانت ليلة أمس دافئة، بالنسبة لجسدها، أما روحها فجمدتها سنين الأسى.

هل هربنا لكي لا نموت يا ترى؟ لكننا أموات! نحن لا نهرب من الموت بل نهرب إليه ولا ندري.

بين حناياهُ يفورُ سَهد

حوراء عبدالله المرهون

عزفت زخاتُ المطر سمفونيّتها المحبّبة على نافذته الزجاجية الطويلة، تبعها صوت طرقاتٍ رقيقة على باب غرفته ونداءٌ مألوف: يوسف أما تزال نائمًا؟ هيا استيقظ ياأخي، لقد ملّلت اللعب وحدي.

لكنّ يوسف لم يأتْ بأيّ تجاوب لا مع أخته الصغرى ولا مع أيّ نفرٍ من أهله، ظلّت الطرقات تتوالى لتدعوه للاستيقاظ ملحةً عليه بيد أنه لم يرد على أيّ منها.

مكث يوماً بكاملهِ يغط في نومٍ عميق، أخذ القلق يعتملُ في الصدور، وخيّم الهمُ في قلوب محبيّه لاسيما والدته التي هالها وصوله إلى هذا الحال، لم يعْ أيٌ ممّن ظن أنّه قريبٌ من يوسف ماألم به، حتى تناهى لمسامعهم صوت خطواته الثقيلة، استبشر الجمع والتفوا حوله، لكنّه نأى بنفسه عنهم والشحوب قد علاه

إنفرد بوالده مترددًا بقوله: لقد توصلنا إلى قرارٍ ما رفع والده رأسه بوجوم منتظرًا الخبر ، فعاجله قائلًا:

"سننفصل.. "، لم يحرْ جوابًا، أطرق برأسه فأوجس يوسف في نفسه خِشية غضبه بعد هنيئة تناهى اليه صوته الجهور:

أيمكنك أنْ تفسر لي غيابك بالأمس؟ أكنت نائماً طوال الوقت أم ماذا؟ ماالذي حلّ بك؟ تفضل أشرح.

أجاب مصطنعًا الهدوء: لما جفاني النوم تناولت مسكنًا أغرقني في نومٍ لم استيقظ منه إلّا الآن

أردف والده وهو ينظر اليه شزرًا: حسنًا، بالله عليك قل لي، كيف سننقل قراركم هذا لوالدها ووالدتك، هل فكرتما في الأمر جيّدًا؟ ماالذي سيحل بالعائلة بعد سماعها قراركم هذا؟! مافرق هذه عن تلك؟

أخبرتك مسبقًا أنّها تناسبنا أكثر بكثيرٍ ممّا تظن أنْ تلك تفعل، ثم هل تظن إنّك إنْ تراجعت الآن ستضغط علينا لنقبل براحيل

يوسف: لا يشتبه الأمر عليك، لقد أطعت أمرك وحاولت جاهدًا أنْ أتقبّل ابتسام، حاولت بكل ماأوتيت من قوة أنْ أهبها الحبّ وأحنو عليها، وهي كذلك، كما أنْ جهودنا لم تكن كافية لبناء عائلة.

أردف والده بغضبٍ قبل أنْ ينهي حديثه: لا تحاول أنْ تلوّن ماحصل حسب هواك لتبرر عنادك، أنت تريد الإنفصال لأنّ خيال راحيل الطفلة لم يبارح ذاكرتك، ليتك لم تقبل منذ البداية

ماذا سنقول لوالدها الآن أخبرني؟ أنخذله قبيل زواجكما؟

يوسف: ربما أصبت حين قلت أنْ خيالها لم يفارقنِ لكن

لا تحملني مالاطاقة لي به، أنا وابتسام لا نستطيع أنْ نكون معًا، بيننا ألف ألف ميل فكري لم نطق عبوره، التزم الطرفان الصمت بعد تلك المشادة الكلامية.

وبعد ساعات قلائل بثّ خلالها والد يوسف قرار ولده لوالدته ولم يكن منها إلّا أنْ أبدت بوادر الخوف من هذا الإنفصال

الذي بنظرها سيسبب شرخًا في علاقتها بأخيها ومربيها وأحب أهلها،

تعاظم الصمت أيامًا وتقادم ليبلغ تمام سنةٍ زمنية إلّا نيفًا أو يقل، الكلُّ يلقي باللائمة على يوسف ولا يبدي لقرارهما المشترك أي إنتباه، حتى ابتسام لما طال صمت يوسف وذويه أخبرت أختها بما عزما عليه فثارت الأخرى عليه وكالت له آلاف الشتائم

ثم تكتمت أيضًا وطلبت منهما إعادة النظر، تفاقّم الوضع وأسودت الدنيا في عينيّه، هو الذي أفنى عمره طلبًا لرضى والديه و تفانى في التضحيات ليسعدهما، هو الذي ضحى بحب طفولته النقي حين قوبل بالرفض وتقبل أمر أبيه بعقد قرانه على ابنة خاله، لم يتحمل عظم وطأة النفور والرفض من عائلته، كانت عقدة الذنب تقتله رويدًا رويدًا دون أنْ يشعر أحدًا، لجأ أخيرًا للملاذ الأخير(أبو فِراس) عمه الذي يعدهُ أباهُ الثاني، وحاوره حول ضرورة إخبار والد ابتسام وعدم جدوى التكتم، بيد أنْ الأخير قد وكّل الأمر كلّه له وانسحب خشية اللوم والعتاب، صحب أبو فِراس يوسفًا لبيت خاله وابتدر الحديث لم يكن الخبر سهلًا عليه مطلقًا بل أن غياب والد يوسف قد زاد الطين بله، فبعد إنقطاع حبل الوصال، هجر والد إبتسام بيت أبي يوسف وأبي فِراس، حتى لم يعد يقابل أخواته اللاتي رباهن صغارًا لزم بيته منزوياً عنهم يحمل هم فتاته التي صارت قبل زفافها مطلقة، شكّل هجره غيمةً ثقيلة على فؤاد يوسف، كلما رأى والدته تتأمل صورة أخيها بحنين زاد وضعه حرجًا، قتله الذنب وألبسه ثوب الاكتئاب.

ودّع النوم وداخع مفارقٍ، واستقبل السهر أيّامًا طوال، رفض والده أنْ يعرضه على طبيب نفسي، لأنّه يتشاءم من تلك العيادة ويعدّ كلَّ من يدخلها مجنونًا.

لم يعرف يوسف طعم الراحة، لم يزل يتنقّل من عيادة لأخرى علّه يلقى علاجاً يوقف لحن الذنب المتواتر، فقد الدواء، فذبل تمامًا واستسلم لدوامة أدوية الإكتئاب التي تغرقه في نومٍ طويلٍ لا يكاد يستيقظ منه إلا ساعاتٍ معدودة، صار يوسف المرح المفعم بالنشاط والحيوية حبيس داره وأوهامه، حتى بعد أنْ خيّم الوباء واكتسح العالم لم تفلح كل جهود والده في إستعادته، وفي الوقت الذي هرب الجمع من العيادات لخوفهم من إصابتهم بالكورونا، صار والده يرتاد به ممراتها الطويلة مرارًا

علّه يلقى أخيرًا ما يكف بلاءه الذي كسر ظهره، حتى جاء يومًا تفتحت فيه أبواب الأمل بعد أنْ عُرض ملف يوسف على منار، الطبيبة التي زاولت مهنة حلمها بعد عقدٍ طويلٍ من البطالة والنضال، حملت ملف مريضها كتحدٍ صعب، تجاهلت لأجله كلَّ ماملأ ذهنها من مخاوفٍ حول الوباء الذي حد حتى أفضل الأطباء ونافسهم على مرضاهم، حتى صار المريض يعزل نفسه في بيته عوضًا عن الفرار للمشفى طلبًا للتداوي ، بعد ثلاث سنوات وتحديدًا في عام ٢٠٢٣ عبر يوسف بوابة الأمل تلك بنجاح

وعقد قرانه على منار، بعد أنْ نجحت خطتها العلاجية في درءِ الإكتئاب عنه وغمرته بعشقه لعفافها وذكائها فخلصه عشقها من حبائل الخيبة بل وداواه من الإكتئاب أيضًا.

عودة إلى الحياة

ابتهال المعرف

فتح عينيّه وهو يلهث بسرعة وجسمه يرتجف من شدة البرد لمح مجموعة من الناس يحيطون به وهم يصيحون إنّه مازال حيّ جسمه ضعيف، لنتصل بالإسعاف يجب نقله للمشفى، أغمض عينيّه وأخذ نفسًا عميقًا ثم عقد حاجبيه في حزنٍ كبيرٍ وهو يتذكر ذلك اليوم عندما عاد والده من المستشفى ليخبره بوفاة والدته بعد صراعٍ كبير مع المرض تذكّر ذلك الألم المقيت الذي عصف بقلبهٌ كان منظر والده أشبه بالميّت وهو ينظر إلى باقي أفراد العائلة كان جسده النحيل يهتز في خوفٍ والدّموع حبيسة مقلتيه، نظر إلى جدته المسنة التي صاحت من فرط الصدمة ماتت ابنتي ماتت ابنتي يرحمك الله يا قرة عيني.

كان عمره ثماني سنواتٍ تذكّر طفولته الجميلة مع والدته قبل أنْ تصاب بمرض السرطان وعمره ست سنواتٍ سنتان من عمر طفولته مع والدته تصارع المرض والتنقّل من مستشفى إلى مستشفى دون جدوى وتعود من حصص العلاج الكيميائي أكثر ضعفًا ووهنًا، تذكّر والده الذي تحمل عبء الأب والأم لمدة سنتين بين عمله والعناية به والإهتمام بشؤون البيت،

لم تمض ثلاثة أشهر على وفاة والدته فاجئه والده بامرأة جديدة قائلًا: هذه أمك الجديدة ستعتني بك، وستعوضك عن حنان أمك، نزل الكلام على نفسه كالصاعقة هل يستطيع مناداة ماما لامرأة جديدة امرأة لم يعرفها يومًا ولم يشم رائحتها ولم يرضع حليبه، لكنّه خضع للأمر فوالده لا يمكنه أنْ يظلَّ وحيدًا، تذكّر الأيّام الأولى مع زوجة أبيه، كانت تعتني به وتهتم بدراسته لكنّ كلَّ شيءٍ تغير مع ولادة أخته مروة، كانت صغيرة جميلة يداها ناعمتان كالحرير ووجهها الصغير الجميل البريء يبعث البسمة والفرح على القلوب كانت زوجة أبيه تمنعه من الإقتراب منها رغم أنّه كان يحبّها كثيرًا، تذكّر يوم سمعها تبكي ذهب اليها ليلاعبها ليفاجأ بزوجة أبيه توبخه وتضربه ضربًا مبرحًا متهمة اياه بإيذاءها، لم يقف الأمر عند هذا الحد بل أصبحت تكلفه بجميع أعمال البيت وعمره تسع سنواتٍ، وخصصت له غرفة في السطح للمبيت دون أغطية وإذا لم يحضر وقت الأكل لا يجد الطعام وكم مرة ذهب الى المدرسة وهو جائع، لم تعطف عليه إلا الجارة حليمة التي كانت تطعمه مع أبناءها فقد كانت صديقة والدته رحمها الله وكانت تحن عليه مثل أبناءها وكان يذهب اليها كلما اشتدّ به الجوع وأحسّ بالحزن، إزدادت معاناته يوم قررت زوجة أبيه توقيفه عن الدراسة بحجة أنّه يجب البحث عن عمل للمساعدة على نفقات العائلة، أقنعت والده بقرارها فخضع لها مكرهًا لأنّه إنْ عارضها ستغضب وستأخذ معها مروة الى بيت أبيها وتظل هناك الى أنْ يذهب والده ويترجاها للعودة للبيت بشروطها.

تذكّر يوم أخبر أستاذه بأنّه سيتوقف عن الدراسة لمساعدة والده، وكيف بكى الأستاذ و عانقه و قال له : كنْ رجلًا و واجه الحياة ولاتنس القراءة فالظروف الصعبة تجعل من الإنسان رجلًا حقيقًا، غادر القسم و هو يبكي و يلتفت وراءه وكأنّه يرسم صورة لقسمه لتظلَّ راسخة في ذهنه، ذلك القسم الجميل الواسع جدرانه بيضاء بها صور من إبداعات التّلاميذ.

تذكّر يوم ذهب عند السي عبد الله الميكانيكي ليعلمه مهنة إصلاح السّيارات، مضت الأيّام وهو يتعلّم وفي نهاية كلِّ أسبوع كان يحصل على أجر خمسين درهمًا، بمجرد وصوله إلى البيت تأخدها زوجة أبيه مدعية أنّه ليس في حاجة إلى المال.

تذكّر يوم تعرّف على شاب اسمه يونس كان يأتي إلى الكراج كثيرًا، عقد صداقة معه رغم أنّه كان يكبره بثماني سنواتٍ، فقد كانت أحواله غريبة رغم أنّه كان ميسور الحال، كان لا يحب الدراسة ووالداه يحاولان دائمًا إقناعه بإتمام دراسته وسيحققان له كلّ مايتمنى، وحلمه كان هو السفر إلى الخارج و الإلتحاق بأبناء عمه، كان كلما حضر الى الكراج يحكي له عن أوروبا و كأنّها جنة فوق الأرض و يقول له أنْ كلّ من هاجر حقّق حلمه لأنْ كلَّ شيءٍ فيها سهل المنال، رسم له الأحلام الوردية حتى أصبح هو كذلك يحلم بالهجرة إلى أوروبا و الهروب من المعاناة التي يواجهها مع زوجة أبيه التي لم يكن يخفّفها سوى ابتسامة أخته مروة الصغيرة فطالما كانت تخفي بعض الخبز و الفواكه في انتظار عودته لتطعمه بيدها الصغيرة، كانت ابتسامتها تفرحه فهذه الملاك البريء لم ترث من أمها قسوتها و عجرفتها، فقد كانت القلب الصغير

الحنون والعطوف وطالما هربت من والدتها لتأتي بين أحضانه و كأنّها تخاطبه أنها ستظلُّ الصدر الحنون له و الأخت الوفية طال الزمن أو قصر.

تذكّر يوم حضر يونس إلى الكراج و أخبره بأنّه وجد من يساعده على الهجرة، وأنّه لايطلب مبلغًا كبيرًا فقط خمسمائة درهم، ذهب إلى المنزل ولم يغمضْ له جفنٌ خمسمائة درهم مبلغ سيفتح له أبواب أوروبا و سيخلصه من عذاب الحياة القاسية، ولكنّه من أين سيحصل عليه؟

تذكّر يوم قرّر مرافقة صديقه يونس للتعرّف على الرّجل الذي سيساعده على الهجرة، فقد كان رجلًا قاسيًا ذا بطن منتفخة عيناه جاحظتان و ماكرتان كالثعلب وقلبه لايعرف الرحمة، نام تلك الليلة وهو يفكر كيف يحصل على المال؟ ولم يجد بدا من سرقة المبلغ من البيت فزوجة أبيه تملك الحُلي و النقود اتفق مع صديقه يونس على موعد الهجرة

تذكّر يوم انتظر زوجة أبيه للخروج من المنزل ففتش ملابسها وسرق دملجين من الذهب الخالص ومبلغ أربعمائة درهم وخرج من المنزل دون أن ينظر وراءه كأنّه استيقظ من حلم مزعج، غادر رفقة صديق مدينته في اتجاه مدينة تطوان ليركب قاربًا ظنًّا منه أنّه قارب النجاة لكنّه كان قارب الموت، باع الدملجين واستطاع جمع مبلغ عشرة ألف درهم، وصل رفقة صديقه إلى مدينة تطوان ليجد ستون شخصًا آخر سيركبون نفس القارب ونفس التجربة ركب قارب الموت وهو ينظر إلى الضفة الأخرى فهي الأمل بالنسبة له لتحقيق الغنى، دفع كلّ الشبان الراغبين في الهجرة النقود للرّجل الذي

سيتكلّف بأخذهم إلى قارب رسا على جنبات البحر، كانت الظلمة حالكة لم يخفّف سوادها سوى ضوء بعض النجوم إضافة إلى أنْ الجو كان باردًا، ركب القارب مع ستون شخصًا التصقوا بعضهم ببعض لأنّ القارب صغير وعدد المهاجرين كثير دفع الرّجل القارب وسط البحر و بدأت الرحلة ارتفعت الأمواج و هاج البحر و لم يعد يسمع سوى الصراخ و العويل، عرف أنّها النهاية و أنّه لن يرى ابتسامة أخته مروى انتهت الأحلام الوردية، انقلب القارب وبدأ الجميع يصارع الأمواج و يصيح بأعلى صوته و لكن مامن مجيب، لم يعد يتذكّر سوى موجة عالية بإرتفاع أربعة أمتارٍ تقذفهم عاليًا و لم يتذكّر شيئًا بعد ذلك فتح عينيهِ بعد سماع صوت سيارة الإسعاف قادمة نحوه و هو يقول الحمد لله الحمد لله إنها العودة للحياة.

انتظار الذي لا يأتي

حاميد اليوسفي

بيوتٌ من حجرٍ وطينٍ، يشدُّ بعضها بعضًا، بين جبال تكسوها أشجار الأرز، لا طريقٍ معبدة ولا مستشفى ولا إدارة، مدرسة صغيرة عبارة عن قاعة وغرفة مجاورة، خصصت كسكن للمعلم، على هامش الدّوار بالقربِ من حقول اللوز والتين والجوز التي تنعكس ظلالها على مياه الوادي، داخل مساحات صغيرة، تفصلُ بينها حواجز على شكل خطوط رقيقة من حجرٍ متراكم بجانب بعضه البعض، ينصع بالبياض كأنّ الماء صقله ونظفه من الأوساخ والأتربة.

بعد فرض الحجر الصحي، وإغلاق الأسواق الأسبوعية، تضررت حياة أهل القرية، لم يعد بإمكانهم بيع جدي أو خروف أو جوز أو بعض الدجاج البلدي لاقتناء لوازم البيت من سكر وشاي وزيت.

بدأت بعض المواد الغذائية تشح يومًا بعد يوم في دكان الحاج علي، اقتناء حاجيات جديدة يحتاج إلى المال، والمال بدأ ينفذ، فَتَح بابَ الديون بحذرٍ، وبقدر أدنى من الشاي والسكر.

في اليوم الأول من شهر رمضان جمعهم (المقدم)*، وقال القائد طلب منه أنْ يخبرهم بأنّ (سيدنا) قد خصص دعمًا للأسر التي فقدت موردها الإقتصادي بسبب جائحة كورونا،

وأنّه يكفي للحصول على هذا الدعم أنْ يرسلوا تصاريح للرقم "1212" الذي أحدثته لجنة اليقظة الإقتصادية.

لاح في الأفق أملٌ جديدٌ، رغم أنّهم لا يملكون هواتف شخصية، فقد استغلوا هواتف أبنائهم الذين عادوا من ثانويات الإقليم إلى بيوتهم.

نشط الأبناءُ في ملأِ تصريحات الأهل والجيران لإرسالها إلى الرقم "1212"، عملية استغرقت الكثير من الوقت والجهد، ونالت إعجاب ودهشة الكبار، واقتضت اقتناء بطاقات تعبئة بخمسة دراهم أضيفت إلى ديونهم عند الحاج علي البقال.

الصعود إلى قمة الجبل عمل شاق ومضنٍ خاصة في شهر رمضان، والطريق موحش ومخيف، ويحتاج إلى أكثر من ساعة مشيًا على الأقدام، لكنّه أقرب مكان إلى القرية يلتقط إشارة شبكة الاتصالات.

أخيرًا تمكنوا من بعث التصريحات والعودة إلى الدوار، عمّ الناسُ فرحًا كبيرًا، زغردت النسوة، وصفقّ الأطفال، وجروا يهتفون بين الأزقة بأنّ الرسائل طارت إلى العاصمة، فسرَّ بعضهم بأنّها ستصل إلى الملك وسيطّلع عليها، ويرسل إليهم الدعم، البعض تخيله قدرًا من المال، والبعض الآخر قال بأنّه كمياتٌ كثيرة من المواد الغذائية ستكفيهم سنة بتمامها، قطعوا الكثير من الوعود للأطفال والنساء إذ توصلوا بالدعم، بأنّ يشتروا لهم أصنافٌ متنوعة من الحلويات والقماش والعطور ومستلزمات التجميل، لم يسبق لهم أنْ طلبوا شيئًا من أحدٍ.   حتى المرشح الذي يرسل من

يكذب عليهم مرة كلِّ خمسِ سنواتٍ لم يطلبوا منه شيئًا منذ أكثر من أربعين سنة، وهو يعدهم بالطريق والمستشفى وتوسيع المدرسة وتوفير كلّ ما يحتاجونه من سلعٍ، لكنّ شيئًا من ذلك لم يحدث، وشكك البعض في أنْ يتركَ أصحابُ الحسناتِ هذه الرسائل تصل إلى الملك،

لابد من صعود أحدهم كلّ يومٍ إلى قمة الجبل وانتظار أنْ تستقبل الهواتف جواب الرقم "1212".

وقع اختيارهم على محمّد للقيام بهذه المهمة، وهو رجلٌ أربعيني بوجهٍ نحيفٍ وقوي البنية، يملكُ قطيعًا صغيرًا من الماعز، ويُحظى باحترام جميع الأسر، لطريقِ المؤدية إلى قمةِ الجبل ضيقةٍ ومحفوفةٍ بالمخاطرِ، كم مرة دخل في صراعٍ مع ذئبٍ أو ثعلب اشتدّ عليه الجوع، فنزل خلسةً لخطف جدي صغيرًا وافتراسه، أخذ معه هرقل الكلب الأرقط ليؤنسه في وحشة الطريق، أطلق عليه هذا الاسم لأنّه دخل مرة معركة مع ثلاثة من الذئاب الشرسة، وخرج منتصرًا مع جروحٍ طفيفة في عنقه، وحافظ على سلامة القطيع حتى أدركه محمّد، أحسّ بإرهاقٍ شديد، وهو يتسلقُ الأحجار، ويصعد الجبل متكئًا على عصاه، ويتوقف بين الحين والآخر لالتقاط أنفاسه، وانتظار هرقل الذي يظهر ويختفي، الشمسُ هذه الأيام تبدو متوهجة، وكأنّها تحررت من رطوبة الجو، وضباب الربيع.

لم يصل إلى القمة حتى نشف حلقه، رغم توزيعه لطاقته البدنية بشكلٍ ذكي حتى لايتعرض لعطش قاتل، أخرج الهواتف من حقيبةِ قماشٍ صوفيةٍ مزركشةٍ بالنّوار، تنازلت عنها

فطومة زوجته بشكل مؤقت، ونشرها تحث ظل الشجرة واتكأ بجانبها وهو يفحص هل تعمل، وعليه التأكد من وجود إشارة الاتصال. بعض هذه الهواتف متهرئٌ وقديم، أغلفتها مكسورة وتظهر الشقوق من جوانبها بشكلٍ جلي، لذلك عليه أنْ يتعامل معها بلطفٍ وكياسة، ويبعدُ عنها هرقل، ويضعها في الظلِّ حتى لاتزهق روحها بين يديّه، ويدّعي أصحابها بأنّه كان السبب في تعطلها عن العمل.

عندما انتهى من ذلك نظر إليها بعطفٍ، وتمنى ألّا يصيبها مكروه، ورفع يديه إلى السماء، وطلب من الله والرقم "1212" أنْ يستجيبا لدعوات سكان القرية قبل أنْ يفتكَ بهم الجوع. أزال قطعة حجر حادة من تحت ذراعه، سرقته وسنة خفيفة، تخيّل نفسه يرى الملك يمر واقفًا في سيارته بالقرب منه، وهو يلّوح مع الناس باليدين معًا، ويدعو له بالنصر والعيش الكريم، وخلف الموكب شاحنات مليئة بعلب السّكر والشاي والزيت والخضر والفواكه وأكياس الدقيق ، أيقظته رنة جرس الهاتف من غفوته، لم يجب عن المكالمة كما أوصاه أصحاب الهواتف بذلك.

مهمته تنحصر في استقبال أجوبة الرقم "1212"، والحفاظ على البطاريات حتى لاتنطفئ الأجهزة، وتضيع حقوق الناس. رأى نفسه أمام مسؤولية جسيمة، التقط قطعة حجر ملساء ونقية، ورأى أنّها تصلح للتيمم، مادام المكان لايتوفر فيه الماء للوضوء، واعتقد أنّه إذا صلى الظهر والعصر بخشوع وورع، فإنّ دعاءه قد يصل إلى السماء بسرعةٍ، لأنّها تبدو قريبةً مثل مظلة زرقاء صافية على امتداد البصر، تغطي الأرض فوق رأسه، عليه أنْ ينتظر حتى يقترب

آذان المغرب، ويبقى له من الوقت مايكفي للوصول إلى الدّوار، فالنزول من أعلى لن يكلفه جهدًا كبيرًا .

قبل الفطور أعاد الهواتف إلى أصحابها حتى تكون مشحونة وجاهزة في الصباح، ملامح وجهه تكشف لكلِّ من تسلم جهازه، بأنّه لم يوفق بالحصول على جوابٍ.

مرّ أسبوعٍ بدون أجوبة، في كلِّ يوم يصعد محمّد إلى الجبل صحبة هرقل في الصباح الباكر، ويعودا خائبين في المساء. حتى شك البعض بأنّه قد يكون وجه نحس، يمنع الرسائل من أنْ تطير من الرباط.

بدأ الشك يتسرب إليهم، قال أحدهم: من يدري قد يعترض القائد أو المرشح أو الشيخ* هذه الرسائل ولا يتركها تصل إلى الملك خوفًا من أنْ يُفتضح أمرهم.

اختلف معه جاره وحذره من ربط القائد والشيخ والمرشح بهذا الموضوع، فإذا وصل ذلك إلى سمعهم، فإنّه قد يقضي على أيّ أملٍ في الحصول على الدعم.

قال ثالث: ربما كثرة الرسائل لم تسمح بعد بالإطلاع على رسائلنا، وشكك رابع في قدرة شبكة الاتصال على نقل الرسائل، ووصفهم خامس بالمجانين، وكأنّ الملك لا شغل له غير التفرغ لقراءة رسائلهم، واقترح أحدهم على محمّد ألّا يأخذ هرقل معه في المرة القادمة، فقد سمع مرة إمامًا في خطبة الجمعة ينهى الناس عن السماح للكلاب بدخول المنازل فهي تطرد الملائكة منها.

وفي الأسبوع الثالث بدأت بعض الأجوبة تصل تباعًا، وأخيرًا اطمأنوا على أنْ رسائلهم وصلت إلى الرباط، الآن عليهم انتظار موعدًا آخر لصرف الدعم كما قالت الأخبار في المذياع، لكنّ الدوار لا يتوفر على وكالة بنكية، أو إدارة بريد، أو دكان تسهيلات، أقرب هذه المؤسسات، تبعد عن القرية بحوالي عشرين كيلومترًا أو أكثر.

كورونا لم يصل إلى القرية، كم ضحكوا يوم سلّمهم المقدم مجموعة من الكمامات، وطلب منهم لبسها هم وأبناؤهم، اعتقدوا بأنّهم يجب أنْ يخفوها ويحتفظوا بها للأيّام الصعبة القادمة.

كلُّ مساءٍ ينتظرون عودة محمّد من الجبل، يمرُّ على البيوت حزينًا صحبة هرقل، يعيد إليها الهواتف لشحنها.

كلُّ صباحٍ يتجددُّ الأمل بحملها إلى قمة الجبل، قد يستجيب الرقم الملعونُ لتوسلاتهم، وتلتقط الهواتف الأكواد، ويذهبون إلى المركز لسحب الدعم، واقتناء كلَّ مايحتاجونه من مواد غذائية، والوفاء بوعودهم للنساء والأطفال.

تأخرت الأجوبة أكثر من اللازم، أصبحوا يخافون من وباء الجوع أكثر من كورونا، قلوبهم معلقة مع قمة الجبل تنبض بين الرجاء واليأس، جواب الرقم اللعين "1212" مثل (جودو)، قد يأتي أو لا يأتي، لم يعودوا قادرين على تحمل قسوة الانتظار، بعضهم هددّ بأنّه إذا لم يتلقوا الرد في الأسبوع القادم حول تاريخ وصول الدعم إلى القرية فليس أمامهم سوى الذهاب رفقة أبنائهم ونسائهم إلى القيادة أو

العمالة، ولن يعودوا إلى القرية حتى يخرج الرقم الملعون عن صمته، ويظهر (جودو).

جميع الحقوق محفوظة لدار
الأبنوس للنشر الإلكتروني©

دار الأبنوس للنشر الإلكتروني

كود التوثيق الخاص بالدار لهذا الكتاب:

TA2.2.6/abanos2p2021

موقعنا الرسمي:

https://abanosepublishing.blogspot.com

صفحتنا على فيسبوك:

https://www.facebook.com/104320398134159

قناتنا على التليجرام:

https://t.me/abanosepublishing

بريدنا الإلكتروني
abanosepublishing@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة لدار الأبنوس للنشر الإلكتروني©

دار الأبنوس للنشر الإلكتروني

قصص قصيرة

ريعان البوح

مجموعة مؤلفين